محمد حسنين هيكل

لصر لا لعبد الناصر

مقدمة الطبعة المصرية

كل كتاب له علاقة خاصة بكاتبه، فهو قطعة من حياته- فكره وعمله وتجربته- استؤمنت عليها صفحات وسطور وحروف!

وما يبوح به أى كاتب- فى مجمل ما يكتبه- هو فى الحقيقة مراحل عمره...

ومراحل عمر أى كاتب ليست مجرد تواتر واتصال وتكرار، وانما هى عالم إنسانى بأكمله : عالم متنوع متناغم مؤتلف، فكل يوم وكل ساعة وكل لحظة لها طعم ولها لون ولها عبق متميز تدركه الحواس وتستشعره، وتذوب فيه أحياناً أو يذوب فيها!

وهذا الكتاب لحظة من العمر لها إيقاع خاص. مزيج متداخل من الحزن والشجن، من الشعور بالاستفزاز والرضا بقبول التحدى. وهى لحظة من العمر كانت بداية لسبع سنوات لها قيمة معينة فى حياتى- من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨١.

سبع سنوات من قتال شديد، كان هذا الكتاب هو الطلقة الأولى فيها من جانبى على الخطوط ، وبعدها تزايد القصف المتبادل حتى وجدت نفسى فى النهاية وراء قضبان سجون "طرة" فى سبتمبر سنة ١٩٨١ مع كثيرين غيرى لم يجدوا مفرا أمامهم عند نقطة فاصلة من تاريخ مصر- غير حمل السلاح، بالموقف والقلم والكلمة- والدخول إلى ساحة المعركة.

والحاصل أن هذا الكتاب كان مجموعة مقالات صببتها فوق الورق على عجل، وفى مناخ ضغط غليظ لا تحتمل غلاظته، ودفعت بها إلى النشر حيث أتيح المجال له مدركا أنها البداية، وأما النهاية فعلمها عند الله!

ولم يكن لهذه المقالات مجال للنشر فى حينه- إلا خارج مصر، ولم اكن أتوقع أنها سوف تنشر فى مستقبل قريب داخل مصر، ومع ذلك فقد كان همى كله أن أقول وأن أسجل، ولتأت المقادير بعد ذلك بما تقضى به وتحكم- وقد كان!

وشاء الله أن يجىء المستقبل الذى لم أتوقعه قريباً . وهذا هو الكتاب يطبع فى مصر وينشر لأول مرة، وهكذا أجد مناسباً أن أضع أمام القارىء المصرى صورة عامة للأجواء التى أحاطت به عند لحظة البداية.

ولست أنوى هنا أن أغوص فى تفاصيل خلافى مع الرئيس "أنور السادات "- يرحمه الله- فليس هذا وقته ولا مجاله، كما أننى لا أريد للتفاصيل والروايات أن تأخذنا وراء ما نحن بصدده فى هذه اللحظة، وفى التقديم لهذا الكتاب.

باختصار، وفى الشهور الأخيرة من سنة ١٩٧٣- كان موقفى كما يلى.

١- منذ الصيف الساخن سنة ١٩٦٧ وحتى الخريف المعبأ بالاحتمالات سنة ١٩٧٣ كنت شديد الإلحاح على نقطتين وجدتهما أساساً للخروج من مأزق النكسة :

● أولاهما ضرورة العمل على "تحييد أمريكا" باستعمال وسائل الضغط المتاحة للعرب إستراتيجيا، وأهمها الموقع والموارد- باحتمال وامكانية أن يختل التطابق الكامل بين سياستها وسياسة إسرائيل فى المنطقة- حتى وان بقيت هناك مساحة واسعة للتوافق. وكان ظنى انه من المستحيل حل ما اصطلح على تسميته بأزمة الشرق الأوسط فى ظل قطيعة كاملة بين العرب وأمريكا، والعرب الذين أقصدهم هنا هم عرب " المواجهة ".

● والنقطة الثانية هى الحتمية التى لامفر منها لمعركة عسكرية محدودة، وكان ظنى أن الحرب المحدودة هى الحرب الوحيدة الممكنة في ظل الأوضاع النووية المسيطرة على العالم . وكان تقديرى أن هذه الحرب إذا ما أحسن استغلالها قادرة على تحقيق نتائج سياسية غير محدودة، خصوصاً إذا تذكرنا أن الحرب بطبيعتها عمل سياسى يستهدف بالدرجة الأولى تعديل الموازين بين الأطراف حتى يصبح الحق مقبولاً والعدل ممكناً.

كانت الموازين قد مالت بشدة لصالح إسرائيل بعد سنة ١٩٦٧. ولم يكن هناك مفر من تعديل هذه الموازين قبل الاقتراب من أى حل.

٢- وجاء يوم ٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣، وبالذات افتتاحية العبور المجيدة فيه، بأوضاع قريبة إلى حد كبير مما تمنيت. وكان تقديرى انها فرصة العمر التى وضعت من أجلها الأمة جماع طاقاتها وفى ظروف دولية عصيبة، وبالتالى فإن استغلال هذه الفرصة سياسيا إلى أقصى حد هو بالنسبة للعرب مطلب حيوى يتعلق به مستقبلهم لعقود طويلة قادمة. وكان تخوفي أنه إذا افلتت الفرصة أو تسربت من بين أصابعنا فإن سنوات طويلة من العسر قد تكون فى انتظارنا على الطريق، وبصرف النظر عن اليسر الظاهروراء ارتفاع أسعار البترول وقتها. فالهوان السياسى لا يرده مال، والهوان الاجتماعي لايعالجه غنى.

وهكذا فقد كنت أعتبرأن الفترة التالية للمعارك أهم وأدق من فترة المعارك ذاتها، فالمعارك هى ساعة وضع البذور فى الأرض، وما بعد المعارك هو فترة الحصاد، واذا تبدد المحصول أو ضاع فقد تبددت وضاعت جداول الدم التى روت الأرض!

٣- وكان أهم ضمان من وجهة نظرى لتحقيق نتائج سياسية غير محدودة لحرب عسكرية محدودة هو المحافظة على التحالف الكبير الذى جعل يوم العبور ممكناً وتأكيد استمرار قواه حاضرة جاهزة معبأة. وكانت أطراف هذا التحالف كما رأيتها وقتها هي : القوة العربية المسلحة، والقوة الاقتصادية للبترول وفوائضه، والتأييد السوفيتى الكامل للموقف العربى، والاهتمام الأمريكى النشيط بالأزمة، والتعاطف العالمى الظاهر مع الحقوق العربية.

وكان اعتقادى أن مفتاح الموقف فى يد مصر:

إما أن تقود المعركة السياسية من أجل حل شامل وعادل.

واما أن تؤثر أسهل الطرق فتخرج إلى حل منفرد- وذلك إذا حدث سوف يؤدى إلى كوارث مؤكدة.

□ من ناحية فإن التماسك العربي كله سوف ينهار.

 ومن ناحية أخرى فإن مصرنفسها سوف تنعزل وتصعب عليها مهام التنمية بعد الحرب، كما تصعب عليها مهام الانتقال الاقتصادى والاجتماعى والفكرى من تعبئة الحرب إلى سلام منظم يتلاءم مع الحقائق الجديدة فى العالم.

 ومن ناحية ثالثة فإن شعوب الأمة العربية كلها سوف تسقط رهائن بما فيها هؤلاء الذين امتلأت خزائنهم بالمال نتيجة لملابسات الحرب وأولها ارتفاع أسعار البترول، ذلك لأن الثراء الطارئ سوف يتحول إلى سلاسل ذهبية (وهذا هو نص تعبيرى أيامها) لا تختلف كثيرا عن سلاسل الصلب والحديد!

وأخيرا فإن الأهمية الدولية للعالم العربى كله سوف تتقلص، فحين تصبح الدول والشعوب رهائن فليس لدى الآخرين ما يقدمونه لها سوى الدموع. والدموع ليست أساساً صالحاً لسياسة!

إن الأمور راحت تسير فى اتجاه آخر، واختلفت، وشعرت أنه لا مفر من أن أعلن خلافي ، وأعلنته فى سلسلة من المقالات نشرت فى "الأهرام " ابتداء من أواخر شهر اكتوبر ١٩٧٣ وحتى أول شهر فبراير ١٩٧٤، ووجد الرئيس "السادات " بعدها أن استمرار بقائى فى "الأهرام " أصبح مستحيلاً من وجهة نظره بسبب التعارض- والتصادم- بين آرائنا، وهكذا خيرنى بين دخول الوزارة أو العمل مستشارا للأمن القومى معه، وكان ذلك حلاً توفيقياً لا تحتمله طبائع الأحوال. وأراد- رحمه الله- أن يضعنى أمام الأمر الواقع فأصدر قراراً بتعيينى مستشاراً للرئيس واعتذرت. وتضايق هو من أننى فى يوم خروجى من "الأهرام " لآخر مرة- ٢ من فبراير سنة ١٩٧٤- أجبت على سؤال لوكالات الأنباء العالمية على نحو لم يرق له. كنت قد سئلت تعليقاً على ما جرى وقلت : "إن الذى حدث شىء عادى. لقد استعملت حقى فى إبداء رأيى واستعمل الرئيس السادات سلطته فى إخراجى من الأهرام وهذا هو كل شىء"، ثم سُئلت إذا كنت سأنفذ قرار التعيين مستشاراً للرئيس وقلت : " إن الرئيس يملك أن يقررإخراجى من الأهرام، وأما أين أذهب بعد ذلك فقراري وحدى . وقرارى هو أن أتفرغ لكتابة كتبى.... وفقط "!

وليومين تاليين جرت محاولات معى واتصالات، ولم أغير رأيى ولا موقفى!

ومضت ثمانية شهور- من فبراير إلى اكتوبر سنة ١٩٧٤- والطرق بيننا غير سالكة كما يقول إخواننا فى بيروت، حتى تفضل هو يوم أول اكتوبر فاتصل بى على غير انتظار، ثم تلاقينا، وتحدثنا، واقترحت عليه بعد لقاء طويل أن نبقى أصدقاء، وأن نستبعد فى الوقت الراهن على الأقل أية فكرة عن المراكز والمناصب والمسئوليات قائلاً . " إننى فى الأوضاع الراهنة لا أريد غير مكان ومكانة الصديق "، وتكررت لقاءاتنا وطالت أحاديثنا، وحضرت معه مفاوضاته مع "هنرى كيسنجر" فى المحاولة الأولى لفك الارتباط الثانى وقد جرت فى أسوان فى شهر مارس من سنة ١٩٧٥. ولم تنجح هذه المحاولة، ولم اكن شديد الأسى على فشلها، بل إننى أحب أن أتصور أنه كان لى نصيب- ولو ضئيلا- فى إفشالها!

وسارت الأمور بعد ذلك.

وليس الآن مجال لحكايات تلك الأيام ووقائعها وحواراتها فهى خارج موضوع التقديم للطبعة المصرية من هذا الكتاب، وانما المهم فى هذا الشأن هو ما حدث فى الساعة السادسة مساء من يوم ١١ أبريل سنة ١٩٧٥ فى مكتب السيد "ممدوح سالم "- متعه الله بالصحة والعافية وأطال فى عمره- وكان وزيراً

للداخلية وقتها- ومكلفا بتشكيل وزارة جديدة تخلف وزارة الدكتور "عبد العزيز حجازى" التى قرر الرئيس "السادات " فجأة أنه يريد تغييرها!

دعانى السيد "ممدوح سالم " إلى لقائه فى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم- ١١ من أبريل- ليعرض على الاشتراك فى وزارته نائبا لرئيس الوزراء ومختصا بالإعلام والثقافة، وسمعت عرضه الرقيق كاملاً بما فيه تصوره لمهمة وزارته وآماله فيما تستطيع تحقيقه، واتفاقه مع الرئيس "السادات " على مجلس للسياسات العليا يرأسه رئيس الجمهورية ومعه رئيس الوزارة وخمسة نواب لرئيس الوزارة أنا بينهم - وأنهم سوف يعملون كفريق رسم ومتابعة سياسات الدولة بسلطات كاملة.

وعندما فرغ السيد "ممدوح سالم " من حديثه أبديت له اعتذارى وأبديت له أسبابى مفصلة فى حوار بيننا استغرق ساعتين كاملتين.

كانت هناك أسباب متعلقة بالسياسات الداخلية والخارجية للحكم وهى سياسات لا أوافق عليها وبالتالى لا أستطيع أن أنفذها أو أعبر عنها.

وكانت هناك أسباب متعلقة بطبائع السلطة والحكم فى مصر وقتها.

وكانت هناك أسباب أخرى.

ثم قلت، وهذا هو الموضوع الذى يهمنى فى التقديم للطبعة المصرية من هذا الكتاب، إن لدى، سبباً آخر قد يبدو شخصياً والحقيقة أنه اكثر من ذلك!

وقلت للسيد "ممدوح سالم "، والرجل يستطيع أن يشهد على ذلك الآن، ما يلى بالحرف تقريباً !

قلت له:

" إننى أرى الآن بداية حملة على "جمال عبد الناصر"، وهى حملة جائرة وظالمة، وانا لا أستطيع أن أوافق عليها فضلا عن أن أشارك فيها ولو حتى بطريق غير مباشر.

ولسوف أجد نفسى شريكا في هذه الحملة شئت أو لم أشأ إذا أنا قبلت منصب نائب رئيس الوزراء للإعلام والثقافة.

سوف أجد نفسى أمام احتمالين لا ثالث لهما.

- إما أن أترك الحملة تستمروتتزايد- وهو ما أتوقعه مع الأسف.

- أو أن أمنع مثل هذه الحملة بسلطة الرقابة- ومهما يكن من رأى فى شأن هذه الحملة، وفى شأن القائمين بها، وفى شأن القوى العربية والدولية التى تشجع عليها- فإننى كصحفى لا أتصور أن أستعمل سلاح الرقابة لمنعها! ".

ثم قلت:

- "إننى وقد اعتذرت عن المنصب أريد ولوجه الله والوطن أن انبه إلى مخاطرها. فهذه الحملة سوف تؤدى ضمن ما تؤدى إليه إلى تقويض شرعية النظام ؛ لانها تضرب فيه عند الأساس. والحقيقة أن ما يحدث هو أشبه ما يكون برجل يقف على فرع شجرة ولايشغل نفسه إلابقطع جذعها، ناسياً أنه إذا سقط الجذع فإن كل الفروع سوف تنهار!

إن تجربة ٢٣ يولية بالطبع ليست فوق النقد والحساب، ثم إننى أنا الذى كتبت يوم الأربعين بعد وفاة "جمال عبد الناصر" مقالاً عنوانه "عبد الناصر ليس أسطورة" أى إننى لا أؤمن بالقداسات للبشر وانما أؤمن بإنسانية البشر وأول مقتضياتها أن كل التجارب قابلة للنقد كما أن أدوار كل البشر- بما فيهم الأبطال- قابلة للتقييم شرط أن تكون الجدية والموضوعية أساساً للنقد وأساساً للتقييم- أما أن يتحول الأمر إلى حملات إدانة كاسحة فهذا ليس تجنياً على تاريخ مصر فحسب، وانما هو نحر فى شرعية النظام من أساسه. واذا كان ما ينسب لثورة ٢٣ يوليو ولجمال عبد الناصر على النحو الذى تقول به الحملات الآن فليس أمام النظام الذى يدّعى أنه استمرار لثورة ٢٣ يوليو- والذى لا يملك أساساً للشرعية غيرها- إلا أن جمع أوراقه ويرحل! ".

قلت هذا كله بتفاصيل التفاصيل. وقلت غيره وبقيت على اعتذارى ولم أغير رأيى!

□

ومرت أسابيع وشهور والحملة على "جمال عبد الناصر" تتزايد وتشتد يوماً بعد يوم، ولا تعرف حدّاً تقف عنده بل وتستبيح كل الحدود. التاريخ والأمانة والأخلاق والشرف جميعا.

ولم تكن الحملة فى حقيقة الأمرعلى الرجل نفسه، فالرجل نفسه كان فى رحاب الله منذ سنوات وليس بين البشرجميعاً من يملك له ثواباً أو عقاباً.

كان واضحاً أن الحملة تستهدف مبادئ معينة، وقيماً معينة، ولحظات معينة فى تاريخ مصر وأمتها العربية.

وكان واضحاً أن هذا كله يجرى لحساب قوى وأطراف بعضها يعرف ما يفعله وبعضها لا يعرف!

ويوماً بعد يوم كنت أشعر اكثر واكثر بالضيق والاستفزاز.

وذات يوم قررت أن اكتب مجموعة مقالات تحت عنوان "لمصر لا لعبد الناصر". وكانت هذه المقالات.

ثم جرى جمعها بين دفتى كتاب!

□

لا أقول اكثر من ذلك فى التقديم كتبت من أجل خاطر مصر، وليس من أجل خاطر "جمال عبد الناصر"، وانما أدعو القارىء أن يتفضل إلى قراءتها منشورة دون تغيير حرف واحد على النص الأصلى لها- وان

كنت فى بعض المواقع قد أضفت بعض الهوامش على هامش النص الأصلى وحينما وجدت ذلك لازماً ومفيداً..

ولقد نشرت هذه المقالات- أيامها- خارج مصر لأنه لم يكن أمامى وقتها مجال فى مصر، وفى كل الأحوال فلست واحداً من الذين يعترفون بوجود خطوط حدود إقليمية على أرض الأمة العربية. ولم تزعجنى كثيرا تهمة الإساءة إلى مصر خارجها، وقد بدأ توجيهها إليّ فى تلك الأيام . فلقد كنت أعرف فى صميم قلبى بما اكتب لا أسيء إلى مصر، وربما قلت بغير ادعاء إن يقينى كان عكس ذلك.

□

بقى شيء واحد أريد أن أستأذن قارئ الطبعة المصرية من هذا الكتاب- فيه، ذلك أننى أريد إهداءها إلى ذكرى صديق كان له فضل الحفاوة بما كتبت في تلك الفترة العاصفة، وأقصد به الصحفى اللبناني الراحل الأستاذ "سعيد فريحة" صاحب ومؤسس "دار ا لصياد ".

لقد جلبت له مقالاتى- وبينها ما يحتويه هذا الكتاب- مشاكل كان فى غنى عنها، وخُيّر فى كثير من الأحيان فاختار، ووقف مع اختياره بغير شكوى وبغير ندم.

واليوم وهذه الصفحات تطبع وتنشر في مصر فإنى أتمنى لو استطعت تحويل حزمة الورق إلى حزمة زهر أضعها على قبره.. اعترافا بالفضل ومحبة.

محمد حسنين هيكل
القاهرة- سبتمبر ١٩٨٧

مقدمة الطبعة العربية

ليست هذه الأحاديث محاولة للدفاع عن جمال عبد الناصر وشخصيته وعصره، ولكنها رواية مختصرة لمشاهد رأيتها بعينى، ولقد اخترت لها وقائع تتصل ببعض ما يثار اليوم فى الحملة ضد جمال عبد الناصر، ولم يكن هدفى أن أرد أو أدافع أو أسجل للتاريخ، فذلك كله لم يجئ أوانه بعد. وانما كان هدفى أن يعرف الشعب فى مصر، وتعرف شعوب الأمة العربية، أن الحملة ليست ما يدعى به اليوم فيما ينشر ويقال فى القاهرة.

وأعرف مقدما أن هذه الأحاديث لن تصل إلى القارئ المصرى، وذلك يحزننى، ولكنه أمر لا حيلة لى إزاءه، وأن لم يكن فيه ما يدعونى إلى قبول دور الشيطان الأخرس الساكت عن الحق.

وأعرف مقدماً أيضاً أن هذه الأحاديث سوف تثير علىّ ما أنا فى غنى عنه ، وسوف أهاجم بسببها دون فرصة لحق الدفاع عن النفس، وسوف ينسب إلىّ ما لم أقله، وأتهم بما لم أقترفه، ومع ذلك فإنى أقبل راضيا وسعيداً ، عارفاً أن كل واحد منا يملك اختيار مواقفه ولكن من منا يملك اختيار مقاديره؟!

محمد حسنين هيكل
القاهرة- فبراير ١٩٧٦

الحديث الأول

الحملة على جمال عبد الناصر ماذا وراءها ؟ ومن وراءها ؟

منذ عدت إلى الكتابة- مرة كل شهر- خارج مصر، حاولت قدرما أستطيع تجنب التعرض للسياسات والمواقف المصرية. ولم أقترب من هذه السياسات والمواقف إلا عند الضرورة، وفى حرص شديد.. يزن كل كلمة ويدقق فى كل إشارة بما فى ذلك النقط وعلامات التعجب والاستفهام!

والسبب- وهناك غيره أسباب أخرى- أن الكتابة عن مصر خارج مصر وبقلم مصرى لاتزال مسألة حساسة يمكن تأويلها بادعاء الاساءة إلى الوطن خارج حدوده. ومع أن هذا الادعاء باطل لأنه ينكمش بالحدود الحقيقية للوطن العربى الواحد إلى الحدود الضيقة لدولة واحدة من دوله- إلا أن هذا الادعاء ما زال قابلا للاستغلال . لأن النزاعات الإقليمية ما زالت مؤثرة من ناحية، ومن ناحية أخرى لاننا فى داخل الوطن العربي لم نتعود بعد أسلوب الحوار. حوارنا حملات كراهية وحروب بالكلمات. وليس هناك ضمان لأى صاحب رأى بيديه- بكل الموضوعية- أن يجد رأيه فى النهاية ذخيرة لمدافع لم يصنع لها في حملات الكراهية وحروب الكلمات!

ثم إننى- ومنذ البداية- حاولت قدر ما أستطيع أن أتجنب الكتابة عن جمال عبد الناصر وحياته الحافلة وتجربته الكبيرة، ولم أقترب من الحديث عنه إلا عند الضرورة القصوى.

فعلت ذلك مرة فى أعقاب رحيله مباشرة، ونشرت مقالا فى ذكرى الأربعين على رحيله بعنوان "عبد الناصر ليس أسطورة" أبديت فيه خشيتى من استغلال المستغلين- لإغراضهم- لقصة البطل فيه والرمز، وعبرت عن مخاوفى من تحويل تراثه إلى كهنوت غيبى جامد، بينما هو فى الحقيقة تجربة إنسانية زاخرة قابلة للحياة والنمو والتطور.

ثم فعلت ذلك أخيراً، وقبل عدة شهور، فى ذكرى مرور ٢٣ سنة على ثورة ٢٣ يوليو وكانت الحملات ضده في مصر قد تصاعدت، وأردت فقط أن أنبه إلى مقاصدها والى مصادرها. ولعلى لم أتجاوزكثيرا حين نسبتها إلى مخططات قوى السيطرة العالمية بشكل عام، والى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بشكل خاص. ولم يكن ذلك تخمينا أو رجما بالغيب. وانما كان استنادا إلى حقائق معروفة أكدتها ملفات هذه الوكالة التى كانت مفتوحة لمن يقرأ ويفهم ويستوعب خلال السنتين الأخيرتين. وكان ذلك بفضل لجنة التحقيق الخاصة التى أشرف عليها السناتور تشرش عضو مجلس الشيوخ الأمريكى. وقد شكلت لجنة لبحث تجاوزات وجرائم هذه الوكالة التى كان الزعيم الهندى جواهر لال نهرو يشير إليها دائما بقوله "إنها القوة الشريرة الملعونة فى زماننا المعاصر" . ولم تكن الملفات قد فتحت بعد، ولم يكن قد ثبت يقينا أن هذه الوكالة كانت حربا لا هوادة فيها ضد زعماء الثورة الوطنية المعادية للاستعماروقيادات التقدم فى العالم الثالث عموما : بعضهم حاولت اغتياله ماديا وبعضهم حاولت اغتياله معنويا، ونجحت فى مرات ولم تنجح فى مرات أخرى :

- حاولت هذه الوكالة ونجحت فى الاغتيال المادى- بالقتل- بالنسبة " لأللينـد ى " فـي " شيلى " و " لومومبا " فى " الكونجو". وحاولت هذه الوكالة ولم تنجح في الاغتيال المادى- بالقتل- بالنسبة "لكاسترو" فى " كوبا " و " مكاريوس " في " قبرص ".

● حاولت هذه الوكالة ونجحت فى الاغتيال المعنوى- بالتشويه- بالنسبة لـ " سوكارنو" فى " اندونيسيا " و " نكروما " فى " غانا ". وحا ولت هذه الوكالة ولم تنجح فى الاغتيال المعنوى- بالتشويه- بالنسبة لـ " شوين لاى" فى " الصين " و " انديرا غاند ى" فى " الهند ".

قلت هذا فى يوليو الماضى- فى مناسبة مرور ٢٣ سنة على ٢٣ يوليو ١٩٥٢- وأضفت إليه أن ما نشهده " الآن " هو محاولة الاغتيال المعنوى لجمال عبد الناصر، بعد محاولات متكررة- لم تنجح- فى اغتياله مادياً بالقتل منذ ظهوره وبروزه على مسرح السياسة العربية والعالمية كواحد من أكبر زعماء حركة الثورة الوطنية.

قلت ذلك وقتها واكتفيت!

□□□

وكثيراً ما سئلت، حتى من قبل أن تبدأ الحملة على عبد الناصر وتتصاعد: لماذا لا أكتب قصته وقد كنت أقرب الناس فكراً إليه؟ وكان ردى دائماً :

- ما زال الوقت مبكراً بعد ، وما زالت رؤيتى مشوبة بالعاطفة.. وأريد أن أنتظر سنوات لكى أستطيع أن أقدم شهادة متكاملة للتاريخ.

وعندما بدأت الحملة وتصاعدت ضد جمال عبد الناصر كان السؤال الملح هو:

- إذا لم تكتب الآن فمتى تكتب؟ والى متى وألسنة السوء وحدها مطلقة العنان؟ وكان ردّى دائما:

- إذا أردت أن أكتب فلا ينبغى أن يكون ما أكتبه فى مجال الدفاع عن جمال عبد الناصر، فهو لا يحتاج مني - أو من غيرى - إلى دفاع عنه، ثم إننى أريد، إذا كتبت، أن أضع أمام الناس صورة متكاملة للتجربة كلها: الضوء والظل، النجاح والفشل، الأصيل والدخيل فى كل ما جرى وكان. وخشيتي من الكتابة الآن أن القوى الظاهرة على السطح هى قوى الثورة المضادة، ومع إيمانى بأن أى تقييم نزيه لتجربة عبد الناصر سوف يعطيه أكبر كثيراً مما يأخذ منه- فإن قوى الثورة المضادة الظاهرة على السطح الآن تستطيع التركيز على الجوانب السلبية لكى تضرب بها الجوانب الإيجابية الضخمة، ومن ثم تطمس بذلك وجه الحق فى التجربة كلها، وتصبح شهادة التاريخ مطية للأحقاد وأداة من أدوات المخطط المرسوم- بصرف النظر عن نوايا الشهود وحسن قصدهم!

وعندما أستبيح التاريخ، وخرج من النسيان عشرات من رواة الحكايات عن عصر عبد الناصر- سمعت كثيرين يسألوننى :

كل هؤلاء تكلموا، وبعضهم دعم روايته بثقة شاهد عيان، وأنت متى تتكلم؟

وكان ردّى دائما:

- دعوا الكلام لمن يريد الكلام.

ولو أصغينا جيدا لوجدنا المتكلمين يروون في الواقع عن أنفسهم وليس عن عبد الناصر.. بعضهم يبحث لنفسه عن تاريخ في الماضي وبعضهم يبحث عن دور فى الحاضر.

ثم إن الروايات كلها قادمة من النسيان، والى النسيان تذهب.

الاختلاق واضح فى كثير منها، حتى إن بعض الذين قابلوا جمال عبد الناصر لدقائق ينسبون إليه- بخيالهم- أحاديث تستغرق أياما بعد أيام.

والروايات معظمها مختلط متضارب.

بل اكثر من ذلك، فلو صدق الناس كل ما يروى لكان تصديقهم شهادة لجمال عبد الناصر وليس شهادة عليه. فإذا كانت كل هذه الروايات تمثل "عقول " هؤلاء جميعاً - إذن فلقد كان الرجل فعلاً معجزة زمانه. إذ كيف يتسنى له أن يحقق كل ماحقق ومثل هؤلاء جميعاً من حوله؟!

لم يكونوا معه فى إيجابياته كلها وبشهاداتهم .

ولم يتجاسروا جميعا على سلبياته حتى جاء الموت ومنحهم الحرية، وهذا شيء سيئ ، وأسوأ منه أنهم ظلوا من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ إلى بداية سنة ١٩٧٤ يتمسحون بذكرى الراحل والرحيل وكأنهم لا يصدقون المقادير، ثم بعد أربع سنوات كاملة اطمأنوا فيها إلى أن الجسد المكفن بالثوب الأبيض لن يخرج من قبره- فتحوا أفواههم وتكلموا!

وتجاوز الكلام كل حد معقول. وكان آخره اتهام جمال عبد الناصر بأنه اختلس لنفسه وهرّب إلى الخارج لحسابه مبلغ خمسة عشر مليونا من الدولارات : خمسة منها قدمها الملك سعود تبرعا للمجهود الحربى المصرى، والعشرة الباقية قدمها الملك سعود أيضاً قرضاً لمصر، ولكن جمال عبد الناصر اغتصب هذا كله لمنفعته الشخصية وأودع الأموال فى حسابه باسمه فى الخارج. هكذا!

اكثر من ذلك فإن جمال عبد الناصر أقدم على هذا التصرف فى وقت محنة عربية كبرى، وهى تلك الأيام السوداء من يونيو سنة ١٩٦٧. هكذا أيضاً !

ومع أن هذه القذيفة من السموم طاشت وأخطأت هدفها ووقعت على الأرض وانكشفت شحنتها السوداء، إلا أن المسألة ما زالت تحتاج إلى كثير من التأمل والتفكير، ثم إنها تثير عديدا من الأسئلة الحائرة.

كأن المصادفات أرادت أن تجيب بالصدق على هذه الأسئلة الأخيرة. لماذا؟ وما هو الهدف؟ ولحساب من؟

- ماذا إذا لم تكن غضبة جماهير الشعب فى مصر وفى العالم العربى على هذا النحو الذى كانت عليه مما استوجب البحث عن الحقيقة واظهارها فى ساعات قليلة؟

- ماذا إذا لم يكن ثلاثة من أبرز شخصيات مصر، عاصروا موضوع تبرع الملك سعود بخمسة ملايين دولار واقراضه لمصر عشرة ملايين أخرى، وقد عاشوا التفصيلات كلها ما زالوا قادرين على الكلام، وهم يعرفون أن هذه المبالغ جاءت فى النور ووضعت فى البنود التى كانت مرصودة لها : وضع مبلغ التبرعات فى حساب خاص بالتبرعات فى بنك مصر مفتوح باسم رئيس الجمهورية وانتقل من جمال عبد الناصرإلى انور السادات حين ولى المنصب. ثم إن مبلغ القرض جرى تحصيله باسم البنك المركزى

المصرى ودخل في حساباته، والثلاثة هم : حسن عباس زكى وعبد العزيز حجازى وهما وزيران وقتها للاقتصاد والخزانة، وأحمد زندو المحافظ الحالى للبنك المركزى .

● ماذا لو لم تكن الوثائق فى متناول يد أحمد زندو محافظ البنك المركزى، وكان الرجل يملك الشجاعة الكافية ليتقدم رغم الجو الخانق ويقول بأمانة :

- حرام هذا الذى يفترى به. وهذه هى الوثائق تنطق بالحقيقة؟!

● ماذا إذا لم يشعر رجل مثل ممدوح سالم بحسه ومسئوليته أن إخفاء الحقيقة أو تمويهها يمكن أن يؤدى إلى عواقب خطيرة داخل البلد تؤثر فى أمنه؟

● ماذا إذا لم يكن هذا كله؟

وهل كان الاتهام يظل معلقا على سمعة عبد الناصر؟

وما هو الهدف؟ ولحساب من ؟

□□□

فى نفس الأسبوع الذى ثارت فيه هذه الزوبعة المثقلة بالسموم ضد جمال عبد الناصر حملت وكالات الأنباء العالمية قصتين إخباريتين مصدرهما واشنطن:

القصة الإخبارية الأولى كتبها "دونالد روثبرج " أحد مراسلى وكالة "الاسوشيتدبرس " فى العاصمة الأمريكية ونصها كما يلى :

أعلن "جون ماركس " أحد مؤلفى كتاب "عبادة المخابرات " أن وكالة المخابرات الأمريكية المركزية حاولت ثلاث مرات فى أواخر الخمسينات اغتيال جمال عبد الناصر.

وقد رتبت المخابرات الأمريكية فعلاً ثلاث فرق للاغتيال تقوم بهذه المهمة، ولكنها لم تنجح، فقد قبض على إحداها، وعجزت الأخرى عن تنفيذ المهمة، كما أن الثالثة وهى مكونة من عرب فى خدمة المخابرات الأمريكية لم تبلغ عما حدث لها بعد أن وصلت فعلاً إلى مصر.

وقال "جون ماركس " إن التخطيط لمحاولات اغتيال جمال عبد الناصر بدأ فى اجتماع لمجلس الأمن القومى كان يحضره "جون فوستر دالاس " وزير الخارجية الأمريكية الأسبق، وكان يحضره أيضاً شقيقه "الان دالاس " الذى كان فى ذلك الوقت يشغل منصب مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

وحدث أن عرض فى هذا الاجتماع تقرير عن الأضرار التى تسببها سياسات جمال عبد الناصر لمصالح الولايات المتحدة فى المنطقة، وقال جون فوستر دالاس .

- ألا تستطيع المخابرات "تصفية" هذه المشكلة؟

واعتبرآلان دالاس أن هذه العبارة تكليف رسمى بتصفية جمال عبد الناصر، وبدأ الترتيب لاغتياله.

هذا ما نقلته وكالة " الأسوشيتدبرس " على لسان، " جون ماركس ".

ولكي يوضع هذا الكلام فى حجمه الحقيقى فلابد أن نتذكر أن "جون ماركس " بدأ حياته دبلوماسيا فى وزارة الخارجية الأمريكية، ثم عمل فى سكرتارية " اللجنة الخاصة للتنسيق المشترك " بين وزارة الخارجية الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية، وهى اللجنة التى تعرض وتناقش وتقر كل جوانب النشاط الخفى للولايات المتحدة فى المجال الخارجي، ثم انتقل بعد ذلك إلى خدمة المخابرات، وكلف بمهام فى "فيتنام " فى إطار "مشروع التهدئة" الذى كان يتولاه فى ذلك الوقت "ويليام كولبى" مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فيما بعد، وحتى شهر واحد مضى، و "مشروع التهدئة" فى فيتنام- لمجرد التذكرة أيضاً - هو المشروع الذى جرت بمقتضاه تصفية كل الزعماء الحاليين والمحتملين فى الريف الفيتنامى. وبشهادة "كولبى" نفسه فإن جهاز "التهدئة" بإشرافه تمكن من اغتيال قرابة خمسة وعشرين ألف شخص فى "فيتنام الجنوبية" على مدى أربع سنوات مارس فيها نشاطه!

وفى "فيتنام "، بدأ ضمير "جون ماركس " يتحرك رغم نصائح قدمها إليه كثيرون من زملائه، ملخصها على حد تعبيره هو "لا تكن مثاليا وعليك أن تعيش الدنيا كما هى فى الواقع ". لكن ضمير "جون ماركس " تمرد فى النهاية، فإذا هو يستقيل من الوكالة، واذا هو يتفق مع زميل له هو "فيكتور مارشيتى" على فضح أسرار المخابرات الأمريكية فى كتابهما الذى اشتهر فيما بعد "عبادة المخابرات ". وربما تبرز أهمية هذا الكتاب وخطورة ما فيه من معلومات إذا تذكرنا أنه الكتاب الوحيد الذى خضع لرقابة صحفية بحكم محكمة فيدرالية فى الولايات المتحدة الأمريكية. فلقد رفعت إدارة المخابرات المركزية قضية على المؤلفين تتهمهما فيه بأنهما أخلا "بتعهد السرية" الذى وقعه كل منهما أثناء عمله فى خدمة الوكالة وأفشيا أسرار كثيرة يمكن أن تضر بأمن الولايات المتحدة فى كتابهما. وبالفعل فإن المحكمة بناء على ما طلبته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أمرت بحذف ٣٣٩ فقرة من كتابهما، ولقد قرر المؤلفان أن يتركا الفقرات المحذوفة بيضاء فى كتابهما، ولعله الكتاب الوحيد الذى صدر على هذا النحو أخيرا فى العالم كله، ويلحظ قارئه أن معظم الأجزاء المحذوفة تتصل موضوعاتها بنشاط وكالة المخابرات المركزية فى الشرق الأوسط.

هكذا إذن وبشهادة خبير عارف بما يقول... حاولوا تصفية جمال عبد الناصر كإنسان باغتياله... تماما كما فعلوا مع " سلفادور ألليندى" فى "شيلى" ، ومع " با تريس لومومبا " في " الكونجو".

□□□

نجىء إلى القصة الإخبارية الثانية وهى تتعلق بتقرير رسمى أذيع من واشنطن عن تحقيقات لجنة السناتور "تشرش " فى نشاط وجرائم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وكانت جريدة "نيويورك تيمس " بين الوسائل الصحفية التى نقلت كثيراً من تفاصيله.

يتحدث التقرير فى جزء منه عن الأساليب التى اتخذتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى مجال توجيه الرأى العام فى العالم منذ بدأت نشاطها أثناء الحرب العالمية الثانية تحت اسم "وكالة الخدمات الخاصة"، ثم تحولت بعد ذلك بقانون أصدره الرئيس الأسبق "هارى ترومان " إلى "وكالة المخابرات المركزية الأ مريكية " . ويرسم التقرير صورة عجيبة لنواحى النشاط التى لجأت إليها المخابرات المركزية الأمريكية فى مجالات الصحافة والنشر والإعلام بصفة عامة لكى تضمن تحقيق أغراضها.

● من ذلك مثلاً أن الوكالة أنشأت من وراء الستار دوراً صحفية فى عديد من بلدان العالم الثالث. وكان تمويل هذه الدور كله من مصادر الوكالة. كما أن هناك دوراً أخرى ساعدت الوكالة على إنشائها ولم تطلب من أصحابها شيئاً محددا بالذات، ولكن مجرد ربط مصالحهم بالوكالة حقق "تكييف " اتجاهاتهم مع أغراض هذه الوكالة، على حد نص تعبير التقرير.

● وأنشأت الوكالة أو ساعدت على إنشاء وكالات أنباء وصور نشطت وراء جمع الأخبار والصور بطريقة عادية. ولكنها التوت قليلاً بالنشر بما يكفل إعطاء انطباعات معينة تريدها الوكالة، أو تلاعبت بنقط التركيز فيما تنشره وتوزعه لكى تؤكد هذه الانطباعات.

● وأنشأت الوكالة قسماً خاصا لتزييف الكتب، ويشير التقرير إلى أن الكتاب الذى روّجت له الدعايات قبل سنوات تحت عنوان "أوراق نبكوفسكى" والذى قيل فى ذلك الوقت أنه اعترافات جاسوس للاتحاد السوفيتى يكشف فيها أسرار ودخائل النظام السوفيتى- إنما هو فى واقع الأمر من صنع وكالة المخابرات المركزية الأ مريكية وتأليفها.

● ثم أنشأت الوكالة قسما خاصاً للتشويه الإخبارى MISINFORMATION كانت مهمته صنع قصص إخبارية تخترع بالتلفيق-!- حكايات يكون من شأن إذاعتها تشويه حقائق معينة أو تشويه سمعة أشخاص بعينهم يتصدون للسياسة الأمريكية أو يعارضون مقاصدها.

ويتعرض التقرير بالتفصيل للأساليب التى تستعملها أجهزة المخابرات الأمريكية فى عمليات التشويه عن طريق زرع الأخبار والقصص بحيث يبدو مظهرها بريئاً يساعد اكثر على تحقيق ما هو مقصود منها. ويضرب التقرير مثالاً على ذلك فيقول إن المخابرات تنجح فى أن تدس خبراً صغيراً ملغوماً على جريدة غير مشهورة فى بانكوك- عاصمة تايلاند- ثم تلفت إليه بطريق غير مباشر أنظار جريدة أخرى اكثر منها شهرة فى هونج كونج، ومن هونج كونج يعثر مندوب لإحدى وكالات الأنباء العالمية على الخبر فيضعه على أسلاك وكالته ويكتسب من اسمها قوة تصديق ينسى معها الناس بدايته المتواضعة فى بانكوك، وهكذا يلف الدنيا ويصبح على كل لسان منسوباً إلى وكالة الأنباء العالمية. ويلفت النظر أنه عند التعرض لمناقشة هذا الجزء من التقرير أمام لجنة مجلس الشيوخ الأمريكى أن بعض أعضائها أثاروا نقطة فرعية. إن مثل هذه الأخبار المزروعة والملغومة بقصد التشويش أو بقصد التشويه سوف تصل إلى الولايات المتحدة وإلى شعبها ضمن رحلة البرقية عبر الكرة الأرضية.. وهذا معناه أن المخابرات الأمريكية لا تضلل الرأى العام العالمى فحسب وإنما هى تضلل الرأى العام الأمريكى الذى تصل " مصنوعات " المخابرات الأمريكية إليه ضمن من تصل إليهم فى بقية أرجاء العالم، واعترف "كولبى" مدير المخابرات الأمريكية أن هذا الاحتمال- احتمال تضليل الرأى العام الأمريكى ذاته- احتمال وارد ولكن المخابرات الأمريكية تحاذر قدر الإمكان " وتجتهد أن تقلل من تأثير مثل ذلك على الرأى العام الأمريكى ".

وأشار التقرير أيضاً إلى أن المخابرات الأمريكية زودت بعض السياسيين فى العالم بمعلومات وحكايات ووثائق تخدم أغراضها، وبعض هؤلاء السياسيين لم يكونوا يعرفون المصدر الحقيقى الذى جاءتهم منه هذه المعلومات والحكايات والوثائق، فقد كانت فى الغالب تصلهم عن طريق مصدر تبدو براءته وتحاط عملية تسليمه ما يتسلمونه بأجواء مسرحية تقنعهم أن ما حصلوا عليه أسراراً بعيدة المنال على غيرهم، ويراعى أن يكون ما يتسلمه هؤلاء السياسيون متفقاً مع أهوائهم ومشاربهم بحيث تصبح شهوة إذاعته- حتى قبل التحقق منه- حارقة غير قادرة على الانتظار. وعلى فرض أن المعلومات والحكايات والوثائق ظهر كذبها وادعاؤها فإن بعض الطنين يبقى فى الآذان ".

□□□

وأعود إلى الحرب المستمرة على جمال عبد الناصر:

● حاولوا قتله وقتل سياساته مادياً، وحاولوا ثلاث مرات يعترف بها جون ماركس فى شهادته، ومن يعرف كم من المحاولات جرت ولم يعرفها "جون ماركس " ولم يعترف بها؟

● ويحاولون الآن اغتيال ذكراه وتاريخه معنوياً وبالتشويه والتشويش، ورغم مضي قرابة ست سنوات على الرحيل فإن الحرب الشاملة ضده تزداد حدة وتتصاعد كل يوم.

الحديث الثانى

مجموعة القيم الإجتماعية لدى جمال عبد الناصر

لست بصدد الدفاع عن جمال عبد الناصر، فالرجل بما أعطته له جماهير هذه الأمة، وبمكانته التى لا زالت موضع تقديرها، فى غنى عن دفاعى أو دفاع غيرى . ولعلى لا أتجاوز إذا قلت إننى واحد من الذين لا يعطون لأحد شرف تبرئته قبل أن يعطوا لأحد حق اتهامه.

وبالتالى فإننى لست هنا بصدد تفنيد حكاية الخمسة عشر مليونا من الدولارات التى تبرع بها الملك سعود أو أقرضها لمصر ولمجهودها الحربى سنة ١٩٦٧- والتى قيل إن جمال عبد الناصر أخذها لنفسه ووضعها فى حساب له فى الخارج...

ومهما يكن فقد تكفلت لجنة التحقيق الخاصة التى شكلت تحت ضغط شعبى غاضب فى مصر بإظهار الحقيقة فيها، وأبرزت من وثائق الدولة الرسمية ومؤسساتها المصرفية ما أثبت بغير شك ولا لبس أن تبرع الملك سعود بخمسة ملايين دولار ظل موجوداً فى حساب التبرعات التى يشرف رئيس الجمهورية على توجيه صرفها، وأن الحساب كله انتقل من إشراف جمال عبد الناصر بوصفه رئيساً للجمهورية إلى إشراف أنور السادات حينما ولى المسئولية بعده، ثم إن الملايين العشرة من الدولارات التى قدمها الملك قرضاً لمصر فى ذلك الوقت، جرى توقيع الاتفاق بشأنها وجرى التصرف فيها بواسطة وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية ووزارة ا لخزانة والبنك المركزى المصرى ، وأنها دخلت ميزانية الدولة وتحركت فى كل مراحلها من القبض إلى الصرف فى إطار مطالب الدولة وبواسطة أجهزتها الرسمية المتخصصة.

ومع ذلك فإن الموضوع ما زال يغرينى بمناقشته، ولكن من زاوية أخرى.

الزاوية " البوليسية" فى القصة- إذا جاز التعبير- تكفلت بها لجنة التحقيق الخاصة وجلت من تفاصيلها ما كانت حملة التشويه تحاول طمسه.

□□□

والزاوية التى تغرينى- كما قلت- هى الزاوية الاجتماعية.. أقصد سلوك عبد الناصر أو سلوك أى إنسان غيره على ضوء مجموعة القيم التى آمن بها، والتى طبعت نمط حياته، واتجاهات سياساته وتصرفاته اليومية.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : هل كانت الثروة أو كان الغنى بين مجموعة القيم الاجتماعية التى آمن بها عبد الناصر؟ ومن هذا السؤال تبرز أسئلة عديدة : ..

●● لمن انحاز جمال عبد الناصر اجتماعياً ... هل كان انحيازه للاغنياء أو كان انحيازه للفقراء؟..

إن أعدى أعداء عبد الناصر لا يكفون عن اتهامه بالحقد على الأغنياء، ويعزون كثيراً من سياساته إلى هذا الحقد الذى يتصورونه.

ولم يكن جمال عبد الناصر حاقداً، ولكنه كان يرى الغنى الفاحش فى وسط الفقر المدقع جريمة لا تغتفر، وهكذا جعل هدفه الذى لا يحيد عنه تذويب الفوارق بين الطبقات ، ولو أنه وجد نفسه من الأغنياء- أو أوجدته مطامعه بينهم- لاختلفت تصرفاته، ذلك أن كل إنسان حريص على مصالح الطبقة التى ينتمى إليها، أو حتى تلك التى يتطلع يوما للانتماء إليها.

أى أن الذى يريد الثروة لنفسه يؤمن الثروة لغيره!

والذى يسعى إلى توسيع ممتلكاته الخاصة- وذلك أساس أى غنى- لايسمح لنفسه أن يبتدع مبدأ التعرض للملكية الخاصة أو المساس بحقوقها.

واذا كان جمال عبد الناصرقد تعرض لأموال الأغنياء لصالح الفقراء، واذا كان قد تعرض لملكية من يملكون لصالح من لا يملكون- إذن فإننا نستطيع أن نتصوربسباطة أن جمع الثروة والحرص على الملكية التى تتراكم فيها الثروة، لم يكونا بين مجموعة القيم الاجتماعية التى آمن بها فى حياته أو لحياته.

ولقد كان من بين المعايير الصارمة التى ألزم بها نفسه أن لا يملك أرضاً أو عقاراً، وكان يعتقد- واعتقاده صحيح- أن الملكية هى التجسيد العملى للامتياز الطبقى، ولم يكن ضد الملكية كمبدأ ولكنه كان ضد تجاوز الحدود فيها فى مجتمع أغلبيته الساحقة من المعدمين. وكان رأيه أن الحاكم فى مصر لا يجوز له أن يمتلك لأنه بذلك يفقد قدرته على التعبير عن مصالح الأغلبية ويجد نفسه- مهما حسنت نواياه- يعبر عن مصالح الأقلية.

●● هل كان نمط حياته يزيد عن موارده، وهل كان مضطراً إلى أن يجارى مستويات من المعيشة يراها من حوله مترفة ناعمة، ومجاراته لها تفرض عليه أن يبحث لنفسه عن مصادر أخرى لتمويل العجز؟

لم يكن للرجل- وهذه حقيقة عرفها كل الذين خالطوه فى مصر أو فى العالم العربى أو فى الدنيا الواسعة كلها- شهوة فى طعام أو شراب.

وكان أفخر الطعام عنده على حد تعبيره " لحماً وأرزاً وخضاراً " و " ماذا يأكل الناس غير ذلك؟ " كان تساؤله ذلك مشوباً بالدهشة والاستغراب حينما كنت أقول له فى بعض المرات مداعباً "إن الدنيا تقدمت ومع التقدم تطورالمطبخ ولم يعد الطعام وسيلة للشبع ولكنه أصبح فناً من فنون الحياة"، وكان ذلك فى رأيه تجديفاً يكاد أن يقترب من الكفربنعمة الله !

وكان نهاره وليله عملاً متواصلاً ، وكانت لمسة الترف في نهاره حينما يجلس للعمل فى مكتبه تسجيلاً لأغنية من أغانى أم كلثوم يدور وراءه خافتاً في خلفية جو عمله، وكانت لمسة الترف فى ليله ذهابه إلى قاعة السينما فى بيته يشاهد فيلما أو فيلمين قبل أن يأوى إلى فراشه.

وكانت مقاطعته للحياة الاجتماعية فى القاهرة مشهورة ، وأتذكر أننى ناقشته فى عزلته كثيراً وكان رده:

- إلى أين أذهب؟ ومع من اختلط؟ إن الذين يستطيعون دعوة رئيس المجمهورية هم القادرون... وهم يعرفون وانا أعرف أن أفكارى تختلف عن افكارهم ، فلماذا أعذبهم وأعذب نفسى؟!

●● هل كان يريد ثروة يؤمن بها شيخوخته؟

الغريب أن جمال عبد الناصر كان يعرف أنه لن يعيش طويلاً ، ولربما من هذه النقطة يستطيع عدد من الباحثين أن يعثروا على السبب الحقيقى الذى دفع جمال عبد الناصرإلى محاولة تحقيق اكثر الكثير من المنجزات فى أقل القليل من فسحة الزمن.

وأتذكر أول مرة سمعته فيها يعبر عن هذا الشعور.

كنت أقول له ونحن نعيش أزمة من الأزمات الكبرى التى كان يعبرها واحدة بعد واحدة :

- "هل ستتاح لنا الفرصة يوما لكى نجلس ونكتب معاً قصة ما حدث وحقيقته .. ربما عندما تصل لسن الشيخوخة ولا تعود هناك مهام أو مشاكل ، تتاخ لنا هذه الفرصة. نجلس معاً لنكتب القصة كلها".

وقال هو ببساطة:

- " سوف تكتبها وحدك... فما اظن أن العمر سيصل بى إلى مرحلة الشيخوخة! "

وقلت له:

"لماذا تقول ذلك؟ ".

وكان رده.

- " لنكن عمليين... الذى يعيش نوع الحياة التى أعيشها ليس له أن ينتظر الشيخوخة والا كان "يخرف"!".

□

●● هل كان يريد ثروة يؤمن بها حياة أولاده بعد حياته؟

كان ذلك أمراً لم يخطرعلى بال عبد الناصر... بل العكس، ذلك أنه كان يعتقد اعتقادا جازما لم يخالجه فيه شك أن أسرته لن تحتاج شيئا من بعده، وأذكر- والله شاهد- مرة تحدثنا فيها عن أولاده ومستقبلهم وكان قوله "إننى أعرف الناس فى بلدنا وأعرف طيبة قلوبهم، واعرف أنهم من بعدى سوف يضعون أولادى فى عيونهم ".

وعندما رحل جمال عبد الناصركان كل ما تركه من حطام الدنيا قرابة أربعة آلاف جنيه، ألفا وخمسمائة منها قيمة بوليصة تأمين على حياته عقدها قبل ذهابه إلى حرب فلسطين، ثم حساباً فى بنك مصرباسمه شخصياً كان رصيده حوالى ألفين وأربعمائة جنيه، وفى مقابل ذلك كان مديناً بحوالى ستة وعشرين ألف جنيه بقيت عليه من تكاليف بناء بيتين... بيت لكل واحدة من بناته تسكن فيه عند زواجها، وكانت مسألة تردد فيها طويلاً ثم أقدم عليها أخيراً مدفوعاً بعاطفة غلابة لا ترد فقد كان يحس بتقصيره فى الوقت الذى يعطيه لأسرته وكان يريدهم أحياناً أن يعرفوا أن انشغاله عنهم خارج إرادته وأن عليهم مثله أن يتقبلوا مقاديرهم.

وأريد هنا أن أمس نقطة بالغة الأهمية، تلك هى أن أسرة عبد الناصر- بناته وأبناءه بالذات- يمكن أن يحسبوا عليه حتى مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وأما بعد ذلك فحساب كل واحد منهم على نفسه.

ويوم رحل عبد الناصر كانت ابنته الكبرى هدى تعمل فى سكرتاريته بمرتب قدره ستة وثلاثين جنيها، وكان قرينها حاتم صادق يعمل معى فى مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام بمرتب قدره مائة جنيه، وكان قبل ذلك فى سكرتارية رئاسة الجمهورية.

وكانت ابنته الثانية منى تعمل معى أيضا فى دار المعارف المملوكة للأهرام بمرتب قدره ثلاثون جنيها، وكان زوجها أشرف مروان يعمل فى سكرتارية الرئيس للمعلومات موظفاً فى الدرجة السادسة بمرتب قدره اثنان وثلاثون جنيهاً في الشهر .

وقد يسأل سائل: لماذا كان عملهم معه.. أومعى؟

وأسمح لنفسى أن أشرح السبب لأول مرة.

حينما تخرجت ابنته هدى وتخرج معها فى نفس السنة قرينها حاتم صادق من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة كان جمال عبد الناصر فى حيرة شديدة ، وأتذكره يومها يقول لى :

- " لا أعرف ماذا يفعل حاتم وهدى ، لابد لهما بالطبع أن يعملا، ولا أستطيع أن أكلم وزيراً أو رئيس مؤسسة لكى يلحقهما بعمل عنده... ولو تركتهما للظروف الطبيعية فإني أعلم أن كثيرين سوف يتسابقون عليهما وهذه مفسدة لهما فى هذه السن ".

وسألني بطريقة عابرة :

"هل تستطيع أن تأخذهما معك فى الأهرام... معك أستطيع أن أتكلم بغير حرج وعندك أعرف أنهما لن يجاملا، فإنك بصداقتك لى لست فى حاجة إلى استغلالهما زلفى أو تقربا".

وقلت له:

- "إننى أعرف الاثنين... وبالفعل أريدهما معي فى مركز للدراسات السياسية والإستراتيجية أقوم بتأسيسه الآن ".

وبعد يومين اثنين من هذا الحديث، قال لى وبطريقة عابرة وسط حديث طويل على التليفون:

- "لا تفكر فى موضوع حاتم وهدى... لقد وجدت الأسلم أن أعينهما هنا في الرئاسة حيث أستطيع أن أضمن ظروف العمل ما لا يفتح مجال لأى استغلال ".

ومضت شهور... ومضت سنة... ومضت سنتان وجاءنى حاتم صادق يوماً وقد سمع عن خطط وخطوات إنشاء مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ورغب أن يعمل فيه " لأنه يشعر أنه فى سكرتارية رئاسة الجمهورية لا يجد فرصة كافية لكى يتعلم ويجرب. ويخوض خبرة الحياة".

وتحدثت فى الأمر مع جمال عبد الناصر فى مرة من المرات، وكان تعليقه.

"إننى أعرف أن ظروف عمله هنا فى الرئاسة لا تعطيه الفرصة لإظهار طاقته على العمل، واذا أردته معك فليكن، ولكنك تعرف كيف افكرفى الموضوع ".

وحين تخرجت "منى" من الجامعة الأمريكية- وكانت قد دخلتها لانها لم تحصل على مجموع كاف يؤهلها لدخول الجامعة المصرية- وجدت جمال عبد الناصر يطلبنى على التليفون ليقول لى ذات صباح وهو يضحك:

- "يظهرأنني سأقدم لك طلب استخدام لكى تأخذ "منى" فى أى عمل معك ".

والتحقت منى بقسم نشر كتب الأطفال فى دار المعارف.

وبعد الرحيل عرض الرئيس أنور السادات على "هدى" أن تواصل عملها معه فى سكرتارية رئيس الجمهورية كما كانت مع أبيها، ولكنها أستاذنته أن يسمح لها بالعمل فى الأهرام، فبقاؤها فى الرئاسة أكثر مما تستطيع تحمله عاطفيا، واذن فإن أقرب شيء إلى الالتزام بمعاييرأبيها هو أن تعمل معى، وفى هذه المرة كان الرئيس السادات هو الذى طلب منى عملا لـ "هدى".

وفى ذلك الوقت كان أبناؤه الثلاثة خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم فى سلك الدراسة : أولهم فى كلية الهندسة والثانى فى الكلية البحرية والثالث فى الثانوية. هكذا كانت ظروف الكل وأحوالهم ، ولست أعرف إذا كان فيها استغلال سلطة من جانبه أو أنها كانت عزوفاً عن استغلال سلطة من رجل كان يملك أن يشير بطرف إصبعه فإذا الكل يتسابق ليعطى أحسن المناصب وأوسع الفرص لأبناء جمال عبد الناصر.

تلك كانت ظروف الكل وأحوالهم عندما رحل... وحسابه عنهم يتوقف عند تلك اللحظة من الزمان، وأما بعدها فكل منهم مسئول عن نفسه.

لكن الرجل، وتلك أمانة أمام الناس والتاريخ، لم يحاول تأمين حياة أولاده بعده، بل تركهم واثقا " من طيبة قلوب الناس فى بلدنا، وانهم بعده سوف يضعون أولاده فى عيونهم "!

□□□

هذه جوانب من تصرفات الرجل "كإنسان "، وهى واضحة فى تعبيرها عن مجموعة القيم الاجتماعية التى يؤمن بها، وعنها تصدر تصرفاته.

وننتقل منها إلى مجموعة أخرى من القيم الإنسانية تظهر فى تصرفاته كمشتغل بالسياسة.

نتساءل مثلا:

" من الذى يضع الأموال السائلة الطائلة تحت تصرف أصدقائه : المعسكر الرأسمالى أو المعسكر الاشتراكى؟ ".

لا يشك أحد فى أن التعامل مع المعسكر الرأسمالى أقرب إلى تحقيق مزايا مالية لاشك فيها لمن يبحث عن ثروة تكون تحت تصرفه خفية وبغير أن يعرفها أحد.

ولا نذهب بعيدا، ففى الوقت الذى تصور فيه الرئيس الأمريكى "دوايت أيزنهاور" أن النظام المصرى بعد الثورة على استعداد لمسايرة السياسة الأمريكية، بادر فوضع تحت تصرف سلطة الدولة العليا فى مصر ثلاثة ملايين دولار لكى تصرف سرّا فى أى وجه تراه هذه السلطة ضروريا لأمنها. وأحدث تقديم هذا المبلغ لسلطة الدولة فى مصر وقتها دهشة واكتنفته ظروف مثيرة ثم تقرر توجيه المبلغ إلى بناء برج القاهرة وشبكة مواصلات مع العالم فيه، وأصبح برج القاهرة بعد هذه القصة رمزا عاليا لسخافة السياسات الخفية للولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن ذلك لم يوقف الأموال الضخمة المتدفقة أو المستعدة للتدفق على كل من يتوافر لديه الاستعداد ليساير.

ولقد ساير كثيرون فى الشرق الأوسط وخارجه، والقصص والروايات عن المبالغ الخرافية التى أصبحت توضع خفية تحت تصرف الذين يتوافر لديهم الاستعداد للمسايرة شائعة ذائعة فى دوائر لجان التحقيق فى الكونجرس الأمريكى. وبينها مثلا أن. " الجنرال ثيو " رئيس فيتنام الجنوبية كان يحصل سرا كل سنة على مائة مليون دولار توضع تحت تصرفه بترتيب خاص بينه وبين الرئيس الأمريكى. بل وأقرب من ذلك إلينا مكاناً وزماناً فلقد تسرب قبل شهرين سر إعطاء زعماء الحزب الديمقراطى المسيحى فى إيطاليا مبلغ ستة ملايين دولار فى شهر ديسمبر الماضى وقد قدمت إليهم من اعتمادات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

ولم يكن جمال عبد الناصر قريبا من التعاون أو التواطؤ مع هؤلاء الذين يعطون المال بغير حساب، ولو كان على استعداد ليساير لاغترف ما يحلم به وما لا يحلم به ولكانت عنده الأموال بغير حساب.

لكن اختياره الدولى... كان اختياراً مستقلاً بعيدا عن ذلك كله!

□□□

.... ونتساءل مثلاً.

ما هى الأبواب التى ينفتح فيها باب الغنى على مصراعيه لمن يريد أن يمدّ يده إلى الثروة الملعونة؟

لا يختلف أحد فى أن أوسع أبواب الغنى لمن يريد هو باب مشتريات السلاح، وذلك باب أغلقه جمال عبد الناصر تماما، فالحصول على السلاح من الاتحاد السوفيتى- مع أنه قرار سياسى بالدرجة الأولى- إلا أن بين آثاره الاجتماعية الكبرى أن باب الرشا والأرباح من تجارة السلاح الملعونة أصبح مسدودا لا سبيل إلى النفاذ منه.

هل يغلق رجل يبحث عن الثروة من أى طريق مثل هذا الباب وهو باب الملايين.. عشرات الملايين... مئات الملايين ؟!

□□□

ونتساءل مثلاً،

لعله أعد نفسه ليوم يضطرفيه إلى الهرب من موقف صعب، وحينئذ يجد فى مهربه مايستطيع أن يعيش به؟

ولكن، هل كان "الهرب " فى طبعه ؟

أعداؤه- قبل اصدقائه- يعترفون له بأنه كان مقاتلاً إلى النفس الأخير، ولو كان ممن تقصرهممهم عن تحديات عصرهم لأعفى نفسه- دون حرج- من معارك بعد معارك فرضتها عليه آمال الأمة وكان يستطيع ببساطة أن يجعل أذنا من طين وأذنا من عجين ويصدّ عن سمعه صوت النداء.

لقد انتخب لرئاسة الجمهورية أول مرة فى يونيو ١٩٥٦، وكان فى استطاعته أن يعطى نفسه فرصة يتمتع فيها بمزايا المنصب وهى هائلة لمن يريد، لكنه بعد أقل من شهرين كان فى عين العاصفة بقراره تأميم قناة السويس.

وبعد حرب السويس كان أسطورة فى العالم العربى، فقد حقق للعرب اكبر واكمل نصر حصلوا عليه فى تاريخهم الحديث، وواجه فى ساحة القتال ثلاث دول، بينها اثنتان من الدول العظمى فى زمانهما- بريطانيا وفرنسا- وصمد فى الميدان رغم تباين القوى العسكرية ولم يستسلم، ثم انطلق بالعمل السياسى من حيث توقف عسكريا ووصل إلى هدفه كاملا: قناة السويس تحت السيطرة المصرية، والانسحاب البريطانى الفرنسى من بور سعيد كامل، والانسحاب الإسرائيلى من سيناء كلها ومن قطاع غزة لم يوضع للمساومة.

وكان فى استطاعته بعد السويس أن يعيش على ماضيه... ماضيه يكفيه ويصنع منه اسطورة لم تسبق، ولاتلحق.

ومع ذلك لم تكد نهاية سنة ١٩٥٧ تجىء إلا وقوات من جيشه تنزل فى اللاذقية تشارك مع الجيش السورى فى الاستعداد لغزو لسوريا كان يدبره حلف بغداد.

هكذا وهكذا حياته من أول يوم حتى آخر يوم.

كان غيره معذورا إذا استسلم أمام الإنذارالبريطانى الفرنسي يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ وركب طائرة وهرب... لم يفعل وانما قاتل.

وكان غيره معذورا إذا خانته شجاعته الأدبية يوم الهزيمة فى ٩ يونيو ١٩٦٧ فترك بيانه للأمة مسجلاً وركب طائرة وهرب... لم يفعل وانما بقى ليحمل " المسئولية كلها " على حد تعبيره فى خطاب ٩ يونيو ١٩٦٧، وكانت المفاجأة بالنسبة له كاملة حين طالبته الأمة من الخليج للمحيط بأن يبقى وأن يواصل قيادة المعركة المستمرة، وبقى تحت شعار المراحل الثلاث : الصمود والردع والتحرير.

لم تجئ نهاية سنة ١٩٦٧، نفس سنة الهزيمة، حتى كانت قدرة مصر الدفاعية قداستكملت.

فى سنة ١٩٦٨، كان قادراً على الردع بمعارك المدفعية على جانبى القناة.

وفى سنة ١٩٦٩، والنصف الأول من سنة ١٩٧٠، كان يخوض حرب الاستنزاف التى يعتبرها المؤرخون العسكريون فى الدنيا كلها جولة الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل.

وكانت عينه على الجولة الخامسة فى الحرب العربية الإسرائيلية : جولة التحرير.

وكان يريد... وأرادت المقادير شيئاً آخر... وأغمض الموت عينيه مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠!

□□□

ونتساءل مثلا

ربما كان يريد من ثروة يكدّسها فى الخارج أن تنفق فى يوم يضطرفيه إلى الحياة لاجئا سياسيا خارج مصر؟

لقد كان مثل هذا الاحتمال خارج حساباته، وكانت له فلسفة واقعية غريبة فى صراحتها، وكان يقول:

- ليس لى مكان إلا واحداً من اثنين : هنا فى مكتبى اعمل.. أو هناك راقداً فى قبر... حتى السجن- لو حدث شىء- لن تطول إقامتى فيه، فإنهم اذكى من أن يتركوني حياً . وكان يضيف:

■■ أولاً : فأنا لا أحب مهنة اللاجىء السياسى.

■■ وثانياً : فليس هناك بلد يقبلنى لاجئا سياسياً لأنى سأكون "مطلوباً" بشدة من الأقوياء الذين حاربت نفوذهم في بلادنا.

■■ وثالثاً : فإن هؤلاء الأقوياء سوف يطاردوننى إلى آخر الأرض إلى آخر العمر.

□□□

ونتساءل مثلا:

هل كان فى طبعه "الاستزلام " للأغنياء طمعاً فى أن يجودوا عليه بفضول أموالهم.

وهل كان رجلاً تهون عليه كرامته فيقبل مالاً من خصم قاتله فى مبدأ وضغط عليه حتى تنازل عن عرضه ثم فتح له باب وطنه لاجئاً تحت سلطانه : " كالملك سعود؟

لقد كان بين مشاكل عبد الناصر انه رجل شديد الكبرياء، وكبرياؤه وحدها كانت تكفيه عاصماً ضد مهانة الرشوة أو ذلك الإستجداء!

□□□

ولقد أردت أن أناقش الموضوع من زاوية مجموعة القيم التى أثرت فى تصرفاته كإنسان اجتماعياً أوسياسيا.

ولم أشأ أن أتعرض للناحية البوليسية فى الموضوع.

ولم أشأ أن أسأل. ألم يجد وسيلة للثروة غير شيكات من الملك سعود مسحوبة على بنوك عالمية... ألم يجد طريقاً آخر غير اتفاقيات رسمية تعقدها وزارة الاقتصاد وينفذها البنك المركزى المصرى؟

ولم أشأ أن أسال : ألم تكن تحت تصرفاته خزائن مصر؟ ألم تكن تحت أمره اعتمادات بغير حدود لأوجه من النشاط السياسى معفاة من أى رقابة؟

ولم أشأ أن أسأل : لو أن له حسابا سرياً خارج مصر، حتى لو لم يكن فى هذا الحساب غير مليم واحد، فهل كان أعداؤه وهم الأقوياء في هذه الدنيا- خصوصا دنيا البنوك- عاجزين عن خزائنها وعن أرقامها؟

لم أشأ ذلك لأن هدفى لم يكن تبرئته من اتهام رموه به.

وقلت وما زلت أقول : إننى واحد من الذين لا يعطون لأحد شرف تبرئته قبل أن يعطوا لأحد حق اتهامه!

الحديث الثالث

الحكم القائم في مصر الآن وقضية عبد الناصر

أفهم تماماً لماذا تحاول بعض قوى السيطرة العالمية- ولأغراضها- أن تشوه التجربة المصرية التى قادها جمال عبدالناصر، ولكنى لا أستطيع أن افهم- حقيقة أسباب مسايرة بعض عناصر النظام المصرى الحاضر، بل وحماستها الزائدة أحياناً لتشويه هذه التجربة...

وأريد الآن أن أناقش هذه المسألة، وأريد أن أناقشها منطقياً بغير انفعال، وبغير تعصب وبغير عاطفة!

□□□

أسأل نفسي والآخرين : كيف ولماذا؟

وأطرح هذا السؤال، وفى ذهنى- وفى ذاكرة غيري- سياقاً متصل من الحقائق والمواقف، سلسلة مترابطة حلقاتها، ممتدة من الأمس إلى اليوم والى الغد !

■ أولاً : لقد وقف الرئيس أنور السادات أمام مجلس الشعب قبل أقل من سنة وقال بالحرف : "إن الذين يتصورون أن الثورة ثورتان وأن العهد عهدان يقعون في خطأ كبير".

وهذا الكلام من الرئيس السادات واضح، ثم إنه حقيقى إلى أبعد حد، فلم يكن أنور السادات شخصاً عادياً فى نظام عبد الناصر، ويكفى أن نتذكر المسئوليات والمناصب التى تولاها من عضو فى مجلس الثورة إلى رئيس لمجلس الشعب إلى نائب لرئيس الجمهورية...

وكان كل رؤساء الوزارات الذين اختارهم أنور السادات فى مدة ولايته وحتى الآن اقطاباً فى عهد عبد الناصر: محمود فوزى رئيس الوزراء قبل ١٥ مايو ١٩٧١ وبعده إلى نهاية تلك السنة، ثم عزيز صدقى من بداية ١٩٧٢ إلى منتصف ١٩٧٣ حين شاء الرئيس أنور السادات نفسه أن يتولى رئاسة الوزراء استعداداً للمعركة ، ثم عبد العزيز حجازى بعد حرب اكتوبر ومع محاولة التوجه للانفتاح بعدها.

ولو نظرنا إلى قمم السلطات فى الوضع الراهن كله لتأكدت لنا هذه الحقيقة :

● أنور السادات فى رئاسة الدولة وهو الوحيد من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى بقى إلى جوار عبد الناصر وبالقرب منه من البداية إلى النهاية .

● سيد مرعى فى رئاسة مجلس الشعب وقد كان فى قمة الجهاز التنفيذي منذ أشرف على تطبيق قانون الإصلاح الزراعى سنة ١٩٥٢ حتى أصبح وزيراً للزراعة ونائباً لرئيس الوزراء ومسئولاً عن التنمية الزراعية فى مصر كلها إلى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وبعده.

● ممدوح سالم فى رئاسة الوزارة وقد كان من نجوم جهاز الأمن فى عهد عبد الناصر، بل إنه لسنوات طويلة كان مسئولاً عن أمن جمال عبد الناصر نفسه فى كل رحلاته خارج مصر.

■ ثانيا :- "إن انور السادات لم يتوقف عن القول، وبطريقة قاطعة، بأنه مسئول مع جمال عبد الناصر فى كل قرار- ولم يكن انورالسادات ليقول بذلك ويقطع به لو انه لم يكن صحيحاً. وفضلاً عن ذلك فلقد كان أنورالسادات هو الرئاسة الثانية دستوريا فى مصربعد عبد الناصربحكم رئاسته لمجلس الشعب معظم سنوات عهد عبد الناصر. وحين ترك رئاسة مجلس الشعب فقد ولّى بعدها منصب نائب رئيس الجمهورية وهو الرئاسة الثانية عمليا فى أواخر عهد عبد الناصر، وحين قدّم انور السادات نفسه إلى الأمة بعد عبد الناصرلرئاسة الجمهورية فلقد كانت أول كلمة قالها : " لقد جئت إليكم على طريق جمال عبد الناصر".

وهذا كلام ليس فيه ما يحتمل اللبس، وأن يحاول بعض الناس تفسيره بردّه إلى تمسك الرئيس السادات "بأخلاق القرية" فحجة واهية آن أن يعرف أصحابها أنها تسئ إلى أنورالسادات قبل أن تسيء إلى جمال عبدالناصر!

كان أنور السادات مسئولاً بالممارسة... أو كان مسئولاً بالصمت...!

وقد رفض الرجل بشجاعة وأمانة حجة المسئولية بالصمت وأعلن أنه اشترك مع جمال عبد الناصر فى "رسم كل سياسة واتخاذ كل قرار" [**تطورت الأمور بعد ذلك كثيراً وتجاوزت هذا الحد الذي بدا لي حين كتبت هذه الاحاديث سنة ١٩٧٥**] .

□□□

■ ثالثا : ولربما يقال

نظام يريد أن يحاكم نفسه، وأليست هذه آية الضمير الحي ؟

ولكن أى محاكمة لابد لها من قانون، ولابد لها من قضاة، ولا بد لها من شهود، ولا بد لها من رأى عام يملك وسائل أن يتابع ويراقب.

وفى محاكمة نظام سياسى فإن ايجابياته يجب أن توضع إزاء سلبياته لكى يكون هناك ميزان ترجح فيه كفة وتخف فيه كفة أخرى.

وهذا كله غير موجود فيما يجرى الآن فى مصر.

لا قانون ولا قضاة ولا شهود، ولا رأى عام يملك وسائل المتابعة والمراقبة ثم إنه ليس هناك ميزان للسلبيات والإيجابيات...

كل ما يقال فى مصر الآن، وبغير ميزان، لا تظهر منه غير السلبيات كئيبة كلها ومظلمة... عشرون سنة متصلة من الظلم والفساد!

ليكن...!

ليكن أنها كانت كذلك كلها، لم يتخللها شعاع ضوء، ولم تظهر خلالها مواقف مجد وشرف...

ليكن...!

لكن معنى القول بذلك هو إدانة النظام الذى حكم مصر منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى اليوم...
إدانة بالكامل... إدانة لا تستثني أحداً ولا تبقى على شيء.

واذن يذهب النظام كله من أوله إلى آخره بلا أسف ولا أسى ، فالوطن والأمة أوْلى من أى نظام وأبقى من أي حكم.

ولقد أضيف إلى هذه النقطة ملاحظة أتساءل فيها:

ومع ذلك فهل النظام هو الذى يحاكم نفسه بنفسه اليوم ويقوم بتجربة فى النقد الذاتى... آية من آيات الضمير الحي ؟!

أم أن الذين عادوه وعاداهم- بصرف النظر عن الأسباب- هم الذين يحاكمونه الآن ويكتبون القانون وينصبون المحكمة ويجيئون بالشهود ويوجهون الادعاء ؟!

أليس مشهداً غريباً أن تقف الثورة متهمة أمام الثورة المضادة وأن يحدث ذلك بغير انقلاب؟!

□□□

■ رابعاً :- ولقد يعترض على أحدّهم ويقول :

" ذلك تطرف لا مبرر له ، وهو قفزة من النقيض إلى النقيض...!

وهل نقبل ما كان في النظام كله على علاّته لا نناقشه، أويكون البديل إسقاط النظام من أساسه بغير مناقشة؟".

ولعلى آخر من يقول بذلك ، وشاهدى فى ذلك ما كتبته فى نقد ممارسات النظام فى حياة جمال عبد الناصر نفسه، فلقد كتبت وأفضت فى الكلام عن تجاوزات وقعت فى كثير من المجالات... ولخصت رأيى يوماً فى نقد النظام بأنه " يعتمد أكثر مما يجب على سلطة الدولة فى الداخل، وأكثر مما يجب على قوة الدولة في الخارج " ، ومازال ذلك نقدى الأساسي لعهد جمال عبد الناصر، وربما لم ينس الناس أن أوّل محاكمة "للمراكزالقوى فى مصر"- وبهذا الوصف نفسه- جرت فى عهد عبد الناصر، ولعلى لا أتجاوز حدّى إذا قلت إننى المسئول عن صك عبارة وردت في خطاب جمال عبد الناصر أمام مجلس الأمة الذى انتخب على أساس دستور سنة ١٩٦٤- والذي رأسه أنور السادات- والتى كان نصها "أن سيادة القانون لا بدّ لها أن تعلو على مراكز القوة".

واذن فإنى آخرمن ينكرحق وواجب أيّ نظام فى تصحيح مساره.

ولكنى أفرّق بين التصحيح وبين الإدانة الكاملة والنهائية.

التصحيح ليس ثورة جديدة، ولا هو ثورة مضادة.

ولكن التصحيح عملية إزالة شوائب لحقت بالعمل الوطنى أثناء ممارسته اليومية لمبادئه الأصيلة واستراتيجيته المتصلة.

وبالتالى فإنها ليست بداية جديدة، وانما هى دفعة مضافة.

ومن هنا مثلاً فإننى مع اعتزازى الشديد بالدورالذى قمت به شخصيا إلى جانب أنور السادات في الأحداث التى وقعت في مصر خلال شهر مايو ١٩٧١- لا أعتبر أن ١٥ مايو كان ثورة جديدة فى مصر.

ولعلى واحد من الذين يرون الإصرار على اعتبار يوم ١٥ مايو بداية ثورة جديدة بدأ بها عهد أنور السادات، ظلماً لأنور السادات واساءة إليه قبل أن تكون الإساءة لغيره.

معنى ذلك ببساطة أنهم يأخذون من أنور السادات مجد منجزات شارك فيها، وهى من أرصدة قوته، ومن منجزات الثورة التى يحمل اليوم علمها.

معنى ذلك ببساطة أنهم يأخذون من رصيد أنور السادات أمجاد ٢٣ يوليو، والإصلاح الزراعى، واعلان الجمهورية، وكسر احتكار السلاح، ومعركة مقاومة الأحلاف، وحروب تصفية الاستعمار، وتأميم قناة السويس، وحرب السويس العظيمة نفسها، والتصنيع، والتحول الاشتراكى، والتصدّى لمسئولية الوحدة العربية، وبناء السد العالى، وقيادة حركة الثورة الوطنية وتيار عدم الانحياز، وانشاء منظمة الوحدة الأفريقية، وعودة بترول العرب للعرب، إلى آخره... إلى آخره.

ولقد مرت أيام مثل يوم ١٥ مايو فى حياة دول وشعوب غيرنا، ولكنها بقيت فى نطاقها... عملية تصحيح فى مسار العمل الوطنى لا اكثر ولا أقل.

وعلى سبيل المثال فإن سقوط " بريا " فى الاتحاد السوفيتى لم يكن بداية ثورة جديدة.

وسقوط "رانكوفيتش " فى يوجوسلافيا لم يكن بداية ثورة جديدة.

وأخيراً فإن سقوط "ويليام كولبى" مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وسقوط سطوة المخابرات معه لم تحفز أحدا لكى يقترح على الرئيس "جيرالد فورد" أن يكون إخراج "كولبى" إعلانا لقيام الجمهورية الأمريكية الثانية!

مراجعة التجربة إذن مطلوبة، والتصحيح بعدها حق، لكن التصحيح يبدأ من التسليم بأن القاعدة سليمة والإستراتيجية صحيحة، ولكن التفاصيل تجاوزت أحياناً ، والممارسات شطت عن الطريق فى بعض المرات... واذن وقفة... واذن عودة إلى الطريق.

لكن ما يحدث فى مصرالآن ليس كذلك!

إنه إدانة كاملة ونهائية كما قلت...

ليست وقفة ولكنها محاولة اغتيال لكل ما كان.

واذا كانت عودة فهي ليست عودة إلى الطريق، ولكنها : عودة عن الطريق، عودة إلى ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢!

□□□

■ خامسا :- ويقول بعضهم، وذلك يقال فعلاً ؟

لماذا نعقد الأمور، ولماذا نرى فيها ما ليس فيها؟

لماذا لا ننسب ما نراه الآن فى مصرإلى صحافة حصلت على حريتها أخيراً فشط بها القول من منطق التجربة والخطأ ؟!

وكان منای أن لا يستعمل الادعاء بحرية الصحافة فى هذا الصدد للأسباب التالية :

١- إن الصحافة فى مصر ما زالت مملوكة للاتحاد الاشتراكى- وهو بوضعه- سابقاً ولاحقاً لكى اكون منصفاً- جهاز من أجهزة السلطة فى مصر.

٢- إن القيادة السياسية مارست حقها- وهذا مشروع فى الأوضاع الراهنة- وأجرت تغييرات شاملة فى القيادات الصحفية اطمأنت بها لوضع العناصر الأكثر تعبيراً عن سياساتها ووجهات نظرها على مفاتيح التوجيه العام فى مصر.

٣- إن القول بوجود حرية صحافة فى مصر هو- عملياً- ضرب من الوهم أو الإيهام، والدليل عليه قائم كل يوم فى الصحافة المصرية.

وكل صحفى فى مصر يعرف على سبيل المثال أن هناك مكتباً رسمياً يبلغ الصحف كل يوم بقائمة ما لا يجوز نشره.

وكان من الممنوعات فى وقت من الأوقات نشر أية تفاصيل عن فضائح "ووترجيت " التى أدت إلى سقوط ريتشارد نيكسون، ولم يسمح بالنشر فى هذا المجال وفى أضيق نطاق إلا عندما بدا أن نهاية ريتشارد نيكسون محتومة.

وكان من الممنوعات- ولا يزال- نشر أى شىء عن تفاصيل التعهدات السرية التى أعطتها الولايات المتحدة لإسرائيل ملحقة باتفاقية سيناء الأخيرة.

ولا أريد تأدباً أن أخوض فى عينات من الممنوعات الأخرى!

واذن فإن هناك يداً تمتد بالحظر والإباحة.

ويبدو غريباً جداً فى رأيى أن تكون هناك حصانة مقدسة لريتشارد نيكسون- وأن تكون هناك استباحة كاملة لجمال عبد الناصر.

وأرد نفسى عن أى تفاصيل أكثر من ذلك فى مسألة حرية الصحافة فى مصر والتعلل بها فى حملة التشويه والتشويش الجارية الآن فى مصر.

ومع ذلك فلا أستطيع أن أترك هذه النقطة دون إشارة إلى ظاهرة من أهم الظواهر الصحية فى مصر المعاصرة.

ذلك انه إذا كانت الصحافة العامة في مصر تشترك- واعية أو ساهية- فى اغتيال شخصية جمال عبدالناصر- فإن هناك صحافة أخرى تخوض معركة ضارية وباسلة دفاعا عنه... دفاعا عن المبادئ الأصيلة فى تجربته، وتلك هي صحافة الشباب... جرائد الحائط المعلقة بالمئات في أنحاء الجامعات المصرية، إلى جانب الصحف التى تصدرها اتحادات الطلاب أو جماعات الشباب.

وتلك شهادة لعبد الناصر.

رواسب الماضى تحاربه، وطلائع المستقبل تحارب معه!

□□□

■ سادسا : - ومع ذلك فإن صدقنا ما يقال عن "انفلات " الصحافة العامة فى مصر، فهل الحملة ضد عبدالناصر- حملة الإدانة الكاملة والنهائية- قاصرة على هذا النطاق؟

الحملة أوسع وفيها ما يلفت النظر.

فيها خطابات رسمية تلقى فى مناسبات عامة وهى الأخرى إدانة كاملة ونهائية.

فيها مطبوعات ومنشورات صادرة عن أجهزة رسمية للدولة وهى الأخرى إدانة كاملة. فيها إذاعات مسموعة واذاعات مرئية وافلام سينمائية لا تفعل كلها غير تكريس إدانة التجربة من أولها إلى آخرها وبطريقة ساحقة ماحقة!

ألخص آرائى فى النهاية لكى لا يكون هناك لبس.

١- فى تجربة عبدالناصر كثير يستحق النقد ويستوجب التصحيح، شأنها فى ذلك شأن أى تجربة إنسانية ضخمة وهائلة، والفرز ضرورى، والتقويم حق، والتصحيح.

٢- لقد ناديت، وما زلت أنادى بضرورة التحقيق النزيه فى كل جوانب التجربة حتى يظهر وجه الحقيقة، وقلت وما زلت أقول إن إطاووا التهم بغير تحقيق لن يؤثر فى عبد الناصر بقدر ما يؤثر فى وجدان الشعب المصرى لأنه يفقده الثقة فى كل شىء، وليس هناك كائن حى... فرداً كان أو شعباً... يستطيع أن يعيش ويكافح إذا سقطت فى خياله كل المثل. وكيف يمكن لشعب مصر مثلاً أن يثق بنفسه إذا ظل بقية حياته مع الشكوك القاتلة. فلقد كان جمال عبد الناصر فى اعتقاده بطلاً وطنيا وقوميا رفعه فى حياته على كل الرءوس وشيعه عند رحيله فى بحر من الدموع... أفلا يملك هذا الشعب أن يعرف أخيرا كل الحقيقة ولا شىء غير الحقيقة فى أمر مثل هذا الرجل؟

هل كان البطل "جلادا سفاحا" كما يصورونه اليوم؟

هل كان المناضل "لصاً مهرباً" كما يصورونه اليوم؟

هل كان القائد "قاتلاً مع سبق الاصرار"... دس السم لطبيبه الخاص الدكتور أنور المفتى... ورتب كمينا بقنبلة مدفع-!- للفريق عبدالمنعم رياض وهو الذى كان يدخره لمعركة التحريرالتى يخطط ويستعد لها؟

أوليس ذلك بعض ما قيل بغيرتدقيق أوتحقيق؟

٣- إذا كانت نتيجة التحقيق كله إدانة كاملة ونهائية لنظام عبد الناصر فمن الذى يتمسك بالنظام كله من أصوله إلى فروعه، أو ليس الوطن والأمة أولى وأبقى من أى نظام؟!

□□□

هذا هو رأيى وتظل عندى بعده ملاحظة أخيرة.

إننا لم نفعل ما فعلناه بأنفسنا فقط ، وانما أسأنا إلى أمتنا العربية كلها، وكنا بمثابة من يقول لها.

- لاتعتمدى فى شيء على مصر... فليس لدى مصرإلا قناع الخداع .

لماذا؟

لأن الأمة العربية أمامها خياران:

أن تصدق ما يقال الآن فتحكم على مصرمن ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى ١٥ مايو ١٩٧١.

أو أن ترفض تصديق ما يقال الآن فتحكم على مصر بعد ١٥ مايو ١٩٧١ حتى هذه اللحظة!

ومصر خاسرة فى الحالتين... وكذلك الأمة العربية..

كلاهما بين الضحايا...

ومن الجانى؟

هذا هو السؤال؟!

الحديث الرابع

حكايات المذابح .. اليمن .. القضاء وحرية الصحافة

أعترف أننى شعرت براحة نفسية عميقة حينما قرأت للرئيس السادات حديثاً مع جريدة "عكاظ " السعودية ورد فيه على لسانه قوله. " إننى كنت مع جمال عبدالناصرفى كل همسة"!

ومبعث ارتياحى هو أننى وجدت فى قول الرئيس السادات ردّا على هؤلاء الذين يحاولون إدانة جمال عبدالناصر دون أن يؤدى ذلك إلى إدانة النظام الذى قام فى مصر من ٢٣ يوليو ١٩٥٢- من أوّله إلى آخره!

... يتصوّرون أنهم بذلك- سذاجة أو خبثا ؟!- يكررون فى مصر ما يظنونه حدث فى الاتحاد السوفيتى حين أدين ستالين ولم يؤد ذلك إلى سقوط النظام الشيوعى كله . وفى ظنونهم - أو أوهامهم - أن عبد الناصر قام في مصر بدور ستالين وأن أنور السادات يقوم بدور خروشوف فى التجربة المصرية!

وهم في ذلك ينسون- أو يتناسون- فوارق شاسعة بين التجربة المصرية والتجربة السوفيتية.

الاتحاد السوفيتى مثلاً كان يمكن إغلاقه عمّا حوله..

ومصريستحيل فيها ذلك مهما كانت القبضة الممسكة بها من حديد لأن شواطىء مصر بمثابة نوافذ مفتوحة على العالم كله وعند نقط مواصلاته..

والاتحاد السوفيتي مثلاً كان يمكن أن يستغنى عما حوله..

ومصريستحيل أن تستغنى عما حولها لأنها جزء عضوى منه. وطن من أوطان أمة عربية لا تستطيع أن تعيش إلا متصلة بها ولا تقدرعلى ممارسة دورها إلا فى إطار تأثيرها..

ثم إن التركيب الحضارى مختلف. والعقائد الاجتماعية مختلفة..

وفضلاً عن ذلك فإن جمال عبدالناصر كان شيئاً آخر غير جوزيف ستالين . ولا أستعمل هنا أوصاف تفضيل كأحسن أو أسوأ لأننى أعتقد أن كل زعامة سياسية تعبر عن مرحلة تاريخية فى سياق من التطور متحرك ومتواصل..

□□□

من هنا- ولأسباب أخرى- فإنه من العيب أن يوضع أنور السادات فى الموضع الذى ترويه القصة المشهورة عن خروشوف، حينما وقف فى اجتماع من الاجتماعات يهاجم عهد ستالين ويتحدث عن المظالم التى وقعت فيه وتلقى خروشوف أثناء الاجتماع ورقة مطوية من أحد حضوره كتب فيها:

" أيها الرفيق نيكيتا خروشوف.. وأين كنت انت عندما جرى هذا كله ".

وقرأ خروشوف الورقة على حضور الاجتماع ثم لاحظ أن مرسل السؤال لم يضع توقيعه عليه، وسأل:

من هو صاحب هذا السؤال.. إنني أطلب منه الوقوف لكى أرد عليه .

ولم يقف أحد.

وساد الصمت على الاجتماع كله..

ثم قال خروشوف:

- " هذا الصمت هو إجابة السؤال.. لقد كنت مع الرفيق الذى لم يضع توقيعه على ورقة أرسالها إلى! ".

لا يمكن أن يوضع أنور السادات فى هذا الموضع.

ذلك عيب فى حق الرجل وتاريخه ونضاله وشخصيته، ثم إنه فوق ذلك مناف للحق والحقيقة فى الجملة وفى التفصيل..

□□□

ولعلى أقول لكى اكون محددّا وواضحاً أننى لا أتشفع فى عبد الناصر بمشاركة أنور السادات له . ولا أنفى أي تهمة عنه وحده ، بمسئولية أنور السادات معه..

ثم إننى كما قلت- واكرر- لا أبرئ عهد جمال عبد الناصر مما يستوجب النقد.

لكن النقد النزيه شىء، والإدانة الكاملة بالاتهام- يلقى على عواهنه- شىء آخر ..

والموضوع فى رأيى اكبر من موضوع عبد الناصر والسادات معاً- لأن الموضوع هو مصر وضميرها وتاريخها ومستقبلها، وهذه الأمة التى أصبناها بالفزع من حولنا!.

وقد أضيف أيضاً ما يلى :

- نعم.. إن عبد الناصرمسئول قبل غيره عن كل شيء وقع فى عهده، وقد كان هو أوّل من يصرّ على ذلك ويتمسك به.

أقول ذلك وأتذكر يوم ٩ يونيو ١٩٦٧..

كان عبدالناصر قد طلب إلى أن أعدّ له مشروع خطابه إلى الأمة بالتنحى، وكنا قد تناقشنا فى الموضوع فى الليلة السابقة وكان رأيى متفقاً مع رأيه فى أنه يجب " أن يذهب " بعد أن صارت الأمور فى ميدان القتال إلى ما صارت إليه، ولم يكن فى مقدوره- إنسانياً- تلك الليلة مع أحزانه وشواغله أن يجلس ليكتب خطاباً ، فاتفق معى على نقاطه وتعهدت أن اكتبه له..

ووصلت إلى بيته فى الساعة السابعة من صباح يوم الجمعة ٩ يونيو. وكان فى مكتبه لم يذق للنوم طعماً فى تلك الليلة الليلاء. وحين دخلت عليه كان التليفون فى يده وكان يتكلم مع أحد القادة العسكريين فى الجبهة يريد أن يضع حداً للفوضى والإنهيار اللذين سادا الموقف كله..

وجلسنا بعدها نراجع مشروع الخطاب الذى أعددته له ووصلنا معاً فيه إلى عبارة تقول بالنص.

" وفيما يتعلق بى فإننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسئولية "..

كنت قد كتبت هذه العبارة وأنا أعرف الظروف ولكن جمال عبد الناصر استوقفنى عندها وقال لى بالحرف :

- ما هو معنى أن أقول " إننى على استعداد لتحمل نصيبي من المسئولية"..

وهز رأسه نفيا قاطعا ثم قال :

- لا أرضى ذلك لنفسى... إننى تاريخياً أتحمل المسئولية كلها ويجب أن أقول ذلك للناس..

وغيرت النص بعد إصراره على النحو الذى رآه.

أروى تلك الواقعة دلالة على أن جمال عبد الناصر نفسه أول الراضين- والمصرّين- على أن يتحمل المسئولية كلها، عن كل ما جرى في عهده..

لكننا عندما نقول بذلك يجب أن ننصب ميزانا لهذه المسئولية يفرزالخطأ عن الصواب، والإيجابي عن السلبى ، والحقيقة عن الادعاء!

ثم إن علينا بعد ذلك أن نضع الوقائع فى إطارها، والتصرفات فى ظروفها، والخيارات فى حدود المتاح منها وقتها- والا كنا بمثابة من يدّعى الحكمة بأثر رجعى، أويطلب عصمة الآلهة لأحكام البشر!..

فى حدود هذا المنطق وبالقرب منه فسوف أختار ثلاث وقائع ينسب إلى جمال عبدالناصر أنه تصرّف فيها كما يتصرّف " سفاح "- هكذا قيل وبالحرف!.

" سفح " دم أبناء مصر على جبال اليمن، و " سفح " دم العدالة فى مذبحة للقضاء، و " سفح " دم الحرية بإغلاق الصحف!.

□□□

سوف أبدأ باليمن فأسأل :

هل يمكن أن يكون هناك تقييم للتدخل العسكرى المصرى فى اليمن لايأخذ فى حسابه الظروف السياسية التى كانت تسود العالم العربى وقتها؟

كان ذلك بعد مؤامرة الإنفصال، ونحن نذكر ملابساتها وما جرى فى سوريا وقتها ، وكان ذلك فى أعقاب مؤتمر " شتورة " الذى اتخذه النظام الإنفصالى فى سوريا منبراً للهجوم على الحركة الوطنية العربية، وكان يبدو أن القوى المعادية للتقدم العربى تريد أن تخنق كل صوت ينادى بالتحرر العربى..

وفى ذلك الوقت جاءت ثورة اليمن، وانقضت عليها العواصف ، ولا أريد أن أعود إلى التفاصيل حتى لا أنكأ جراحاً قديمة شفاها الزمن فيما أتمنى..

وفى يوم عصيب من أيام شهر اكتوبر ١٩٦٢ كانت ثورة اليمن الوليدة وحدها فى مهب العاصفة.

وفى القاهرة كانت هناك مشاورات مستمرة بعد أن طلبت الثورة الوليدة نجدة من مصر بدورها وحجمها فى العالم العربى فى ذلك الوقت..

وكان أنور السادات أكثر الناس اهتماما بهذا الموضوع فى القاهرة لأن اختصاصه السياسي في القيادة المصرية كان يشمل ضمن ما يشمل شئون اليمن والجنوب العربى والخليج، وكانت توصية انور السادات- فى نطاق اختصاصه- تتلخص في أن مصرلا يسعها أن تتفرج على ما يجرى فى اليمن مكتوفة اليدين، وأن الواجب القومى يحتم عليها أن تتدخل عسكرياً- خصوصا بالطيران- لرد العاصفة عن الثورة اليمنية.

ودارت مناقشات واسعة حول هذه التوصية..

وأتذكر أنه كان لى فى الموضوع رأى يختلف، وقد قلته لجمال عبد الناصر، وأتجرأ فأقول ذلك لأن جمال عبد الناصر أشار إلى رأيى فى آخر جلسة حضرها لمجلس الوزراء قبل رحيله، وما قاله فى هذا الصدد مسجل بصوته فى وثائق مجلس الوزراء.. شاهداً ومرجعاً..

كان رأيى فى ذلك الوقت يتلخص فيما يلى :

- أننى لا أعرف إذا كانت الظروف الموضوعية فى اليمن مهيأة لنجاح الثورة..

- ثم إننى لا أعرف إذا كانت الثورة التى قامت فى اليمن تستطيع أن تتحمل عملياً ثقل التدخل العسكرى المصرى فى اليمن، وبواسطة القوات المسلحة المصرية.

وسألنى جمال عبدالناصر سؤالا مباشراً:

- هل معنى ذلك أن نترك الثورة اليمنية وحيدة يسهل ضربها... وماذا يحدث للحركة العربية العامة إذن؟

- إننى أدرك أهمية نجدة ثورة اليمن، ولهذا فإنى أقترح تشكيل قوات متطوعين عرب من كل البلاد العربية يذهبون إلى اليمن للقتال فى صفوف الثورة.

وأضفت متحمسا :

- لماذا لا نجعل اليمن معركة شعبية للحرية بمثل ما كانت الحرب الأهلية فى اسبانيا معركة شعبية للحرية، وحتى لو أننا خسرنا المعركة فإن الخسارة ستتحول إلى أسطورة فى النضال العربى تلهم وتلهب خيال أجيال بعد أجيال..

ذلك أسلم فى رأيى من الزّج بالقوات المسلحة المصرية فى ظروف شاقة معظمها مجهول...

ثم قلت للرئيس وقتها :

- لدى دراسة قام بها باحث مصرى عن الأحوال فى اليمن وعن تاريخه المعاصر، وأريدك أن تقرأها، وسوف أرسلها لك..

(أشار جمال عبد الناصر إلى هذه الدراسة فى التسجيل الموجود بصوته فى سجلات مجلس الوزراء فى آخر جلسة حضرها قبل الرحيل).

كان الرأى المقابل لرأيى وقتها يتلخص فيما يلى :

- أن أمن ومستقبل الحركة الوطنية العربية معلق فى الميزان.. .
- أن الوقت لا يحتمل التردد، والأ ضاعت الثورة اليمنية..
- أن تدخل بعض قوات الصاعقة، وسرب واحد من الطيران يكفى..

وبهذا المنطق تدخلت مصر لنجدة الثورة فى اليمن وكان انور السادات- ولمدة خمس سنوات متصلة- هو المسئول الذى تولى إدارة الجهد السياسى المصرى فى اليمن فى حين أن عبدالحكيم عامركان المسئول عن الجهد الحربى..

وأعترف الآن- وهذه شهادة صدق- أن أنور السادات كان على حق فى مناداته بالتدخل العسكري لحماية الثورة فى اليمن وأننى كنت على خطأ لأننى نظرت إلى الموضوع من وجهة نظر مصرية إقليمية بحتة وذلك لا يجوز إزاء مسئولية مصر ودورها القومى..

ذلك لأن الزاوية القومية هى الزاوية التى يجب أن نقيس منها التدخل فى اليمن، فلقد أحدث التدخل المصرى فى اليمن آثاراً واسعة المدى ألخصها فيما يلى :

١- لقد خرج الاستعمار البريطاني من شبه الجزيرة العربية، واستقل الجنوب واستقل الخليج.

٢- تحت ضغط التدخل المصرى فإن السيطرة الأمريكية اضطرت إلى إرخاء قبضتها المسيطرة على الموارد العربية فى شبه الجزيرة واتخذت موقعاً أكثر تلاؤما مع الأنظمة الوطنية وسمحت لها بدور متزايد فى توجيه أمور ثرواتها..

٣- إن الدول الوطنية فى هذه المنطقة اتجهت تحت ضغط الظروف إلى "التحديث " وقد كان من النتائج المباشرة لتطورات المعارك فى اليمن أن اعتلى الملك فيصل عرش السعودية، وبدأت عملية " التحديث " فى المملكة تحت توجيهه، وراحت الأسرة فى السعودية تتحول إلى دولة..

وهذه كلها منجزات تاريخية ضخمة لا يمكن تقييم التدخل المصرى فى اليمن بغيرإدخالها فى الحساب بصرف النظر عن الثمن الذى دفعته مصر..

واذا أردنا أن نناقش الثمن الذى دفعته مصر فإن ذلك سوف يقودنا إلى تأمل الظروف التى اتسعت فيها حرب اليمن..

إن الحرب اتسعت لا لأن هذا الطرف العربي أو ذاك تدخل فيها، وانما اتسعت الحرب حينما تدخلت فيها قوى السيطرة العالمية، وفى مقدمتها إدارة المخابرات المركزية الأمريكية التى جندت للحرب آلافا من الجنود المرتزقة الأجانب، إنجليزا وألمانا وفرنسيين وأمريكيين، وقصة هؤلاء ذائعة مشهورة، ولكن ذاكرتنا ضعيفة ننسى بسهولة ما هو حق لنا ونبتلع بسهولة دعاوى الآخرين علينا..

ننسى أنه فى وقت من الأوقات كان هناك أكثرمن خمسة عشرألفا من الجنود المرتزقة الأجانب فى اليمن..

وننسى أن لندن- كما حدث فى حالة انجولا- كانت مركزتجنيدهم وتسليحهم وارسالهم إلى اليمن..

أكثر من ذلك.. ماذا أقول؟

هل أقول- والقول صحيح- إن المخابرات المركزية الأمريكية كانت تجند المرتزقة الأجانب للحرب فى اليمن وأنها كانت مسئولة عن عملياتهم وعن التنسيق بينهم وبين دور اسرائيل فى مساعدتهم؟

هل أقول- والقول الصحيح- إن إسرائيل كانت تتولى مسئولية إلقاء الذخائر والأسلحة بالطائرات لهؤلاء الجنود المرتزقة الأجانب فى مناطق محددة فى جبال اليمن؟.

هل أقول- والقول صحيح- إن الرئيس الأمريكى جون كنيدى كان يعلم بحقيقة ما يجرى فى اليمن، وكان أحد مساعديه وهو المستركومارهو ضابط التنسيق بين البيت الأبيض، وادارة المخابرات المركزية الأمريكية، وكان كنيدى يسمى حرب اليمن بقوله : " حرب كومارالخاصة؟ ".

واذا قلت بذلك- إذن ألا نكون وضعنا حرب اليمن فى سياقها الصحيح من قصة النضال العربى المعاصر..

إطارها مسئولية مصر القومية..

ظروفها الصراع المتصل بين الحركة الوطنية العربية وبين قوى السيطرة العالمية.

ونتائجها ليس فقط ما دفعته مصر من تضحيات فى اليمن، ولكن هذا التحول الضخم الذى نراه الآن فى شبه الجزيرة العربية، وعند طرفها الجنوبى، وعلى شطآن الخليج!..

□□□

■ مذبحة القضاء وسفح دم الحرية.

أنتقل الآن إلى واقعة " سفح " دم العدالة " بمذبحة القضاء "، وسوف أروى بشأنها ما أذكره من ظروفها، وأعتقد أن ذاكرتى ما زالت سليمة..

أقول أولاً إن جمال عبد الناصر لم يتدخل فى حياته فى حكم أحكام القضاء، وكان لديه ذلك الإحساس العميق بقدسية العدل، وهو إحساس له جذوره البعيدة فى المجتمع المصرى بحكم التكوين الحضارى لشعب استقرت حياته فى بيئة زراعية ترسخت فيها فكرة الاحتكام إلى قانون القضاء.

وأتذكر الحرج الذى أحس به يوماً حين جاءه خطاب مكتوب من " الملك سعود " يرجوه فيه أن يتدخل لكى تحصل " السيدة ناريمان " ملكة مصر السابقة على طلاق من زوجها " الدكتور أدهم النقيب ". وكانت " ناريمان " قد لجأت إلى الملك . وكان النزاع بين الزوجين قضية أمام محاكم الأحوال الشخصية فى مصر وصلت إلى حد أن طلب الزوج زوجته فى بيت الطاعة واستصدر حكماً قضائياً بما طلب..

وأرانى جمال عبدالناصر خطاب الملك سعود إليه بتوقيعه وهو يقول :

" إننى أريد أن أجامل الرجل فى أى شىء يطلبه منى.. ولكنه قصدني حيث لا أستطيع أن أجيب طلبه، ولا أعرف كيف أرد عليه، وهل يصدقنى إذا قلت له إننى لا أستطيع أن أتدخل فى أعمال محكمة شرعية ؟ وكيف أتدخل؟! ".

رويت هذه الواقعة الصغيرة كمقدمة فقط !

وأصل منها إلى الظروف التى أحاطت بما أطلق عليه وصف مذبحة القضاء فى صيف سنة ١٩٦٩.

فى صيف ذلك العام ١٩٦٩ كان جمال عبدالناصر فى إجازة إجبارية بالإسكندرية، كان مقرراً أن يسافر فى ذلك الصيف للعلاج الطبيعى مرة ثانية فى مصحة " تسخالطوبو " فى الاتحاد السوفيتى، ولكن تطورات حرب الاستنزاف عوّقته عن السفر، وأجل سفره أسبوعاً بعد أسبوع ، ثم ألغى سفره فى تلك السنة تماماً ليكون بقرب المعارك الدائرة على الجبهة ونصحه الأطباء بأسبوعين على الأقل يقضيهما فى إجازة كاملة.

ولكن شواغله كانت تلحّ عليه، ولا تمنحه الفرصة التى يلح عليها أطباؤه..

وسمعت منه ذات مرة خلال تلك الفترة فى الإسكندرية أن بعض المشاكل فى مجال القضاء تطرح نفسها عليه، وأن تقارير أمامه تشير إلى أن بعض المحاكم تطرد فلاحين من أراضيهم المستأجرة لصالح كبار الملاك ثم إن بعض هذه التقارير يشيرإلى أن بعض القضاة الذين أصدروا مثل هذه الأحكام سبق أن طبقت عليهم أو على أسرهم أحكام قانون الإصلاح الزراعى، وكان رأيه أن ذلك وضع لابد من بحثه وأنه شكل

لذلك لجنة خاصة سوف تقدم إليه توصياتها، وكان بين أعضائها السادة شعراوى جمعة وسامى شرف والمستشار عمر الشريف المستشار القانوني لرئاسة الجمهورية وآخرون...

ولاحظ هو تحفظى على ما سمعته منه فأضاف:

- " إننى وضعت انور السادات على رأسهم لكى يتابع ما يفعلون، وهو بينهم الذى يتصل بى ".

ورغم أننى أحسست بارتياح إلى وجود أنور السادات بالقرب من عمل هذه اللجنة، فإن الحساسية الخاصة لموضوع القضاء جعلتنى أفكر وأحاول من بعيد متابعة عمل اللجنة وأسأل كثيرين من المتصلين بالمسألة وبينهم المستشار ممتاز نصار رئيس مجلس إدارة نادى القضاة ، وقد لقيته فى تلك الفترة اكثر من مرة...

وذات مرة فى الإسكندرية كنت على موعد مع جمال عبد الناصر فى استراحة المعمورة فى الساعة الثانية عشرة ظهراً، وكنت أريد أن اكلمه- ضمن موضوعات أخرى- فى مسألة القضاء..

ولكى اكون مستعدا دعوت الدكتور جمال العطيفى وهو المستشار القانونى "للأهرام " وقتها ووكيل مجلس الشعب الآن، إلى لقائى فى الصباح الباكر من ذلك اليوم ، وأثرت معه موضوع القضاء تفصيلاً، وسمعت منه رأيه وهو رأى خبير يدرك أهمية وخطورة وجلال تناول موضوع له هذه الحساسية..

وطال حديثنا إلى قرب الظهر، وراودنى إحساس بأن جمال عبد الناصر يجب أن يسمع ما سمعت من جمال العطيفى ولكن كيف؟!

- " إننى على موعد مع الرئيس، وسوف أقول له ما سمعت منك، وأريدك أن تركب معى فى سيارتى وتنتظر فيها، حتى إذا ما احتجت إلى أية تفاصيل أثناء حديثى مع جمال عبد الناصر خرجت فاستوضحت منك ما أريد ".

وذهبنا إلى المعمورة ودخلت مكتب جمال عبد الناصر وسيارتى فى الخارج ينتظرنى فيها جمال العطيفى..

وفتحت الموضوع..

قلت إن مسألة القضاء حساسة، فهو مرفق فى مصر مقدس، وأى اقتراب منه يجب أن يكون بمنتهى الدقة والتحرز.

ثم قلت إننى تحدثت فى هذا الموضوع مع خبراء يعرفون أهميته وقدره وبينهم جمال العطيفى الذى كان معى هنا الصباح وحتى الظهر وكان بودى لو أن الرئيس استطاع أن يسمعه مباشرة..

ثم أضفت:

- لقد فكرت أن أجيء بجمال العطيفى ليقابلك معى وحتى تسمع منه ولكنى ترددت قلت ذلك وانتظرت..

وقال جمال عبد الناصر.

- ليتك فعلت.. إننى حقيقة أريد أن أسمع رأى خبير لا علاقة له بجهاز الدولة.. كثيراً ما حاولت ذلك فى مسائل أخرى ولكنهم يجيئون أمامى فلا يتكلمون.

قلت :

- أظن أن جمال العطيفى يمكن أن يتكلم خصوصاً إذا كنت معه.

وقال الرئيس :

- ليس لك حق أنك لم تأت به .

وقلت معترفا:

- جمال العطيفى معى فى سيارتى هنا فى المعمورة ولم أقل له إن هناك احتمالا لأن يراك، وانما قلت له إننى قد أحتاج إلى استيضاح بعض الأمور منه إذا احتجت لذلك..

وقال عبد الناصر.

- إذهب وأتِ به؟..

وخرجت إلى سيارتى وجمال العطيفى ينتظرنى فيها أقول له إن الرئيس يطلبه.

وفتحت الدهشة فمه ولكنه سار معى. وقلت له ونحن ندخل البيت.

- جمال هذه فرصة لا تعوّض... وأرجوك أن تتكلم بنفس الصراحة التى كنت نتحدث بها معى.

ودخلنا على جمال عبد الناصر.

بعد عشر دقائق من الحديث كان جمال عبد الناصر قد أزال بحديثه البسيط كل أثر للدهشة والرهبة عند رجل لم يكن يعرف أنه سيلقاه، ولم يكن مستعدا للقائه.

ثم استمرّت جلستنا فى شرفة بيت المعمورة لمدة قاربت الثلاث ساعات .

وكات جمال العطيفى يتكلم، وكان جمال عبد الناصر يسأل ويستوضح ويستوثق.

وفى النهاية قال الرئيس :

- جمال.. هل عندك مانع أن تنضم إلى اللجنة التى تقوم بدراسة الموضوع..؟ وكان رد جمال العطيفى " أنه يشرفه القيام بأى خدمة يطلبها منه الرئيس " .

وأحسست بعد هذه المقابلة أننى أديت واجبى كمواطن وكصديق لجمال عبد الناصر.

وكان منطقى أنه إذا كانت اللجنة التى تبحث موضوع القضاء تعمل تحت رقابة أنور السادات ويشترك فى أعمالها جمال العطيفى- إذن فالأمور فى مسارها الصحيح .

وصدرت بعد ذلك يوم ٣١ أغسطس ١٩٦٩ إجراءات فى مجال القضاء، وأثارت هذه الإجراءات ردود فعل كان يمكن أن يسمعها جمال عبد الناصر ويستجيب لها، ولكن الثورة فى ليبيا قامت يوم أوّل سبتمبر سنة ١٩٦٩، وشدّت الإنتباه كله إلى ناحية أخرى.

....

....

واذن أمام عينى لم يكن الرجل مندفعاً بشراسة قاتل- إلى مذبحة للقضاء.

لقد كانت أمامه مشكلة اجتماعية سياسية رآها من وجهة نظره- خطأ أو صواباً - تتطلب حلاً .

وشكل لجنة لدراستها والتوصية بما يمكن عمله حيالها، ضمن أعضائها مستشار الرئاسة القانونى، ووضع فوق اللجنة زميلاً له موثوقاً به ليتابع أعمالها.

ثم كان على استعداد لأن يسمع.

بل وكان على استعداد لأن يناقش أكثرمع من يستطيع مناقشته فى موضوعه ولو بغير موعد سابق.

وليكن أن شيئاً ما فيما اتخذ من إجراءات- جانبه التوفيق- ليكن .

نقد كان ممكناً دراسة ما حدث وتحقيقه وتصحيحه وحتى الحساب عن أى تجاوزفيه بدون حملات كراهية ضد رجل نقل أحكام القضاء فى مصر كلها من الصدور بإسم ملك طاغية إلى الصدور باسم الشعب وتحت سيادته...

□□□

ثم أصل إلى قصة " سفح " دم الحرية بمصادرة الصحف، وأظن أن القائلين بها يقصدون واقعة إغلاق جريدة " المصرى " التى كان يملكها " الأستاذ محمود أبو الفتح " والتى كان يرأس تحريرها أخوه " الأستاذ أحمد أبو الفتح ".

وكان " أحمد أبو الفتح " قد تعرف إلى جمال عبد الناصر عن طريق صـهره " ثروت عكاشة " ، الذى كان عضواً مرموقاً فى حركة الضباط الأحرار.

وكان صوت الأستاذ " أحمد أبو الفتح " من الأصوات المسموعة لدى مجلس الثورة فى الفترة الأولى . فقد كان دوره- وسط مجموعة الشباب التقدمى الجديد الذى ظهر فى حزب الوفد وعلى اليسار من التيار الرئيسى فيه- دوراً ظاهراً ومن هنا كان طبيعياً أن يكون الأستاذ " أحمد أبو الفتح " حلقة الاتصال بين النظام الثورى الجديد وبين حزب الوفد الذى كان حزب الأغلبية حتى ذلك الوقت.

ومع بداية سنة ١٩٥٣ كانت الخلافات قد بدأت تدب فى العلاقات ما بين جمال عبد الناصر والأستاذ " أحمد أبو الفتح " وكانت لهذه الخلافات ثلاثة أسباب.

□ أولها- سبب سياسى : ذلك أن معنى الديمقراطية لم يكن واحداً بالنسبة للاثنين : كان جمال عبدالناصر يرى أن أى تعبير سياسى هو انعكاس لحقائق اجتماعية واقتصادية، !اذا كان مطلوباً إقامة ديمقراطية سياسية سليمة فى مصر تعبر عن رأى الأغلبية وسلطتها فإن ذلك لا يتأتى إلا إذا كانت الحقائق الاجتماعية والاقتصادية فى الوطن تعطى لهذه الأغلبية وزنها وثقلها.

وكان جمال عبد الناصر يرى أن إجراء أى انتخابات قبل إجراء تغييرات اجتماعية اقتصادية تعطى الأغلبية وزنها وثقلها الاجتماعى والاقتصادى لن يكون من شأنه إلا أن يعيد إلى السلطة نفس العناصر القديمة التى تمثل الطبقة المتميزة فى مصر والتى تسيطر على الحقائق الاجتماعية الاقتصادية فيها، وهذا يصبح بمثابة العودة إلى ديكتاتورية الأقلية الطبقية تحت اسم الديمقراطية.

وكان رأى الأستاذ " أحمد أبو الفتح " يختلف عن ذلك ، فقد كان يرى أن حل مشكلة الديمقراطية هو بإجراء الانتخابات فوراً، وعلى أى حال فقد كان ذلك منطقياً مع موقفه ومع انتمائه إلى حزب الوفد.

□ وثانيها- سبب نفسي : ومرجعه فيما أظن إلى أن الأستاذ " أحمد أبو الفتح " بالغ- ربما بحسن نية- لدى أصدقائه القدامى فى أهميته بالنسبة لأصدقائه الجدد، وبالتالى فقد كان حزبه وكانت جماعته وكانت أسرته تنتظر منه أن يحقق لهم جميعا أشياء عجز عن تحقيقها، وبإحساسه بالحرج فقد تحوّل خلاف الرأى إلى عناد ثم إلى عداء.

□ ثالثها- سبب يعود إلى أن الأستاذ أحمد أبو الفتح كان يشعر بوفاء شديد لأخيه الأستاذ " محمود أبو الفتح " كان قد ترك الصحافة وجريدة المصرى لأحمد أبو الفتح وتفرغ هو تماماً لدور رجل الأعمال.

وأحس " أحمد أبو الفتح " أن أخاه لا يأخذ ما يعتبره هو حقاً له وأن فرصاً كثيرة ضاعت أو ضيّعت عليه لأسباب لا يعرفها.

ولعل اكثر يوم شعرت فيه بأبعاد أزمة " أحمد أبو الفتح " هو يوم أتيح لى أن ألتقى فيه بالأستاذ " محمود أبو الفتح " فى بيروت فى شهر يناير من سنة ١٩٥٤.

كنت عائداً من دمشق عن طريق بيروت ، وفى فندق " سان جورج " التقيت بالأستاذ " محمود أبو الفتح " ووقفنا فى ردهة الفندق نتبادل أحاديث مجاملات- ثم سألته عن "أحمد " وكان قد غادر القاهرة إلى جنيف، وقال لى الأستاذ " محمود " - وللرجل مكانته بالنسبة لأى صحفى بوصفه واحداً من الرعيل الأول من بناة الصحافة المصرية الحديثة سواء اتفق أو اختلف مع آرائه ومواقفه- إنه يريد أن يجلس لحديث طويل معى عن العلاقات بين جمال عبد الناصر و " أحمد أبو الفتح ".

وجلسنا نحن الاثنين تلك الليلة فى ركن من صالون " السان جورج " نتحدث حتى الساعة الرابعة صباحا.

وبعد أيام من عودتى إلى القاهرة كان الأستاذ " محمود أبو الفتح " قد اتصل بالدكتور "السيد أبو النجا" المدير العام للمصرى وقتها، وهو فى نفس الوقت موضع ثقة الأسرة كلها، وطلب إليه أن يتصل بى لكى نرتب " ما اتفقنا " عليه فى بيروت.

وكنا قد اتفقنا على ترتيب مقابلة بين جمال عبد الناصر والأستاذ " أحمد أبو الفتح ".

والتقيت مع الدكتور "السيد أبو النجا" الذى كان وما يزال صديقا مقرباً لى وكان يريد أن يستوثق من نقطة واحدة.

- " انه سوف يطلب إلى الأستاذ " " أحمد أبو الفتح " أن يركب الطائرة من جنيف إلى القاهرة، فهل أضمن عودته إلى جنيف مهما كانت نتائج مقابلته مع جمال عبد الناصر"؟

وقلت للدكتور "السيد أبو النجا" وهو المشرف العام على " دار المعارف " اليوم :

- إننى أتعهد أن أكون في استقبال الأستاذ " أحمد أبو الفتح " عند وصوله بالطائرة من جنيف وأتعهد أن أكون في وداعه بعد المقابلة على سلم أول طائرة عائدة إلى جنيف!

وجاء الأستاذ " أحمد أبو الفتح " وذهبنا معاً إلى بيت جمال عبد الناصر وجلسنا نحن الثلاثة لحديث طال أربع ساعات، وفى الواقع فقد كان الحديث بين الاثنين، وكنت أتابع ما يدور بينهما صامتا، أتدخل أحيانا عندما تظهر عقدة فى حباله!

لكن الخلاف كان واضحا بين الاثنين فى الآراء وفي المواقف.

وارتفعت درجة حرارة الحديث مرتين:

مرة عندما أثار جمال عبد الناصر مسألة الاتصالات التى يقوم بها الأستاذ " محمود أبو الفتح " فى " أوروبا " وفى العالم العربى- خصوصا مع " نوري السعيد " رئيس وزراء " العراق " وقتها، وكان رد الأستاذ " أحمد أبو الفتح " أن علاقات أخيه " بنورى السعيد " هى علاقات رجل أعمال يورد مهمات لمشروعات تنفذ فى العراق، إلى جانب اهتمامه بتوريد السلاح كوكيل لبعض شركاته.

وكان رأى جمال عبد الناصر- بناء على معلومات لديه بالطبع- أن الصلات والاتصالات فيها عنصرسياسي .

ثم ارتفعت درجة حرارة الحديث مرة أخرى عندما تساءل الأستاذ " أحمد أبو الفتح "

- لماذا تضار مصالح أخى محمود فى مصر، ولا يحصل على حقه ؟

وسأله جمال عبدالناصر:

- وهل حدث ذلك؟.

ورد الأستاذ " أحمد أبو الفتح " قائلاً :

- نعم... إن أخى تقدّم لمشروع أتوبيسات النقل فى القاهرة ولكن "عبداللطيف أبو رجيلة" أخذ المشروع ولم يأخذه "محمود أبو الفتح ".

ثم إن " محمود أبو الفتح " تقدم وكيلاً عن شركة سلاح يعرض بندقية من عيار ٨٦ وهذه هى البندقية التى أقرّت "الحلف الأطلنطى"، ومعنى ذلك أنها ممتازة، ولكن اللجنة العسكرية التى تشرف على مشتريات السلاح رفضتها! "

وبدت الدهشة على وجه جمال عبد الناصر وسأل :

- " وهل تتصورأن لي علاقة بذلك أو أنني أتدخل فى مثل هذه الشئون؟! هذه مسائل تقررها الوزارات المسئولة ".

وبدا الضيق على ملامح عبد الناصر وشاع الأسف فى نبرة صوته وهو يقول بالحرف :

- " جرى ايه يا أحمد.. أتوبيسات إيه؟ وبنادق إيه؟ ".

وكان واضحاً أمامي أن الحديث سارإلى طريق مسدود.

وذهبت لوداع الأستاذ " أحمد أبو الفتح " طبقاً لما تعهدت به، وأقلعت الطائرة التى استقلها إلى " جنيف " ورويت تفاصيل ما حدث للدكتور السيد أبو النجا، وشعورى هو أن القصة لم تتم فصولها!

....

....

و في الأسابيع التالية بدأت أسمع من جمال عبد الناصر اكثر من مرة- وبأسف اكثر من غضب- عن النشاط المنسوب إلى الأستاذ " محمود أبو الفتح " فى " أوروبا " وفى بعض العواصم العربية وبالذات " بغداد " نورى السعيد.

ثم عرفت يوم ٢٧ أبريل ١٩٥٤ أن نشاط الأستاذ " محمود أبو الفتح " أحيل إلى "محكمة الثورة " وأن قرار الادعاء ضده ينص على :

" انه أتى افعالاً ضد سلامة الوطن ومن شأنها إفساد أداة الحكم وذلك أنه فى غضون سنة ١٩٥٤ وما قبلها ارتكب الأفعال التالية :

١- قام بدعايات واتصالات ضد نظام الحكم القائم بقصد تقويض النشاط القومى للبلاد.

٢- أغرى موظفا عمومياً بطرق غيرمشروعة على المساهمة فى إتمام صفقة تجارية لمصلحته الذاتية ".

....

....

وفى يوم ٢ مايو ١٩٥٤ أصدرت محكمة الثورة حكمها وكان الحكم إلى جانب السجن والمصادرة، ينص بالحرف على " سحب رخصة جريدة المصرى منه، وبذلك تتعطل الجريدة عن الصدور ابتداء من اليوم ".

....
....

كان تشكيل محكمة الثورة التى حاكمت وحكمت على النحو التالى :

قائد الجناح عبداللطيف البغدادى رئيسا.

القائم مقام أنور السادات عضو يمين.

قائد الأسراب حسن إبراهيم عضو يسار.

كان هؤلاء الثلاثة هم القضاة الذين وضعوا أيديهم على المصحف الشريف وأقسموا على أن يراعوا الله والوطن والضمير فى أحكامهم .

ثم عرض الحكم للتصديق على مجلس الثورة، وكان رئيسه اللواء محمد نجيب وتمت الموافقة عليه. ثم....

□□□

ماذا أقول بعد ذلك؟!